مسرحية ....

شتاء عاصف جداً

مسرحية

شتاء عاصف جداً

المؤلف: خالد أبوسويد

مسرحية: شتاء عاصف جداً

المؤلف: خالد أبوسويد

لوحة الغلاف: الفنان أسامة دياب

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

موافقة اتحاد الكتاب العرب

رقم: ٤٢٧ — ٥٠٦ التاريخ: ٢٠٠٤/٦/٢٨

الإخراج الفني: فيصل حفيان

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف:٥٦٢٧٠٦٠ ـ فاكس: ٥٦١٣٢٤١

ص. ب : ٢٥٩ جرمانا

Email: ruslanpress@mail2world.com

الإهداء

- إلى أمـــي...

أمـي دافئـة.. حنونـة...

أمـي تـزرع المنثور لأنهـا لا تسـتطيـع أن تـزرع الحـروف

وللمنثور والحـروف عبـق جميـل.

- إلى أمـلٍ كـان..

إلى أمـلٍ مـا زال حـاضراً...

إلى أمـلٍ بـاقٍ أبـداً...

للتي وهبتني اسمي... ومنحتني الحـروف...

إلى منـــال... رسـول السمـاء إلى قلمـي

شتاء عاصف جدا !

حول مؤشرات التمايز:

الرجل والمرأة

الحرية والسياسة

في النص المسرحي / شتاء عاصف جداً/

للمؤلف: خالد أبوسويد

- النص: في فصل واحد موزع على مشهدين

- الشخصيات: أربعة وهي:

- الكاتب سعيد: العائد إلى الوطن بعد رحلة اغتراب مرّة

- غروب: ممثلة وتلميذة سعيد..العاشقة للمسرح ولسعيد في آن واحد

- سراب: تمثل الحلم ومشروع الحب الذي لم يكتمل بالنسبة لسعيد لأسباب قاهرة

- المحقق رجب: أحد أدوات السلطة.

المقدمة وحكاية عن المكان
في ليلة ماطرة وعاصفة

مدينة من مدن هذا الزمان.. منسية وحزينة.. تائهة ومقهورة.. غريبة عن ناسها لأنهم، أو بعضهم.. أرادوا لها أن تكون حزينة بعمق حزنهم..غريبة غرب اغترابهم.. هاربة عنهم هروب الهارب عنها.. مهاجرة هجرة المهاجر عنها.. محاصرة حصار المحاصرين والمعتقلين فيها.. مدينة دمرها العسكري المجنون.. فدمرته ثورة وبدلته بشعارات.. عن الوطن والحرية والإنسان.. عن الرجل والمرأة والحرام. باسم الثورة اغتصبت وباسم الثورة دخلها أبناء القهر.. كانت الثورة كذبة كبيرة.

المشهد الأول

يعود الكاتب سعيد الخصيب إلى مدينته بعد أن طردته سلطة العهد البائد، وتحديداً إلى مكانه الذي اعتاد العيش فيه كاتبا مسرحياً إلى مسرح المدينة فيجده خرابا بسبب الحرب..يدخل غرفة المدير، وهي الغرفة الوحيدة بالكاد حافظت على هيكلها من الخراب.. كل شيء فوضى.. الغبار يصبغ المكان.. صور تمثل عروض مسرحية لفرقة المسرح في المدينة، وصور تمثل رجالات الفن العظماء ملقاة على الأرض.. رسم لشكسبير وآخر لتشيخوف وبريخت.. يتأمل المكان في صمت وحزن.. وعبر مونولوج داخلي يؤديه سعيد يعود بنا إلى ذكرياته عن المكان، وعن صراعه مع السلطة البيروقراطية المتمثلة بالسيد مدير المسرح يوم ذاك، وبالسيد الوزير المسؤول العام عن تردي حالة المسرح..

سعيد: (مونولوج داخلي أحادي مركب)... الإضاءة غير جاهزة.. منذ ثلاث سنوات ونحن نطالب بتصليحها.. الجواب لا ميزانية.. بعثنا بكتاب إلى الوزير.. يا حضرة الوزير المحترم.. المسرح.. مسرح..

ـ بعد ذلك تظهر غروب التي كانت تراقب سعيد منذ دخوله.. ومن ثم يدور حديث طويل بينهما عن العودة والحب والانتظار الطويل وعن المسرح والثورة والحياة والناس والبيوت.. الخ

غروب: هل تهدم بيتك أثناء الثورة ؟

سعيد: لا أعرف

غروب: لم تره ؟

سعيد: لم أره..أتيت من غربتي إلى هنا مباشرة

غروب: كنت متأكدة انك ستأتي إلى هنا

سعيد: لهذا كنت تنتظرين

غروب: أجل

سعيد: ألم تملّي الانتظار ؟

غروب: لم أمل.. كنت سعيدة بذلك

سعيد: لماذا ؟..

ـ ثم يستمر الحوار عن السلطة والمعارضة..عن الحرب والدمار:

غروب: وأخيراً سقطت السلطة الظالمة بقوة الشعب والمعارضة

سعيد: نعم.. نعم.. لكن دُمر كل شيء

غروب: (بانفعال) من الذي دمر كل شيء ؟.. من الذي دمر البشر والحجر وحرق الشجر؟

سعيد: الجميع

غروب: الجميع ؟!..

سعيد: الجميع.. السلطة..المعارضة والخونة.. نفس الشيء.. ذات الشيء

ـ وأثناء الحديث نكتشف أنها تحبه وهذا هو سر انتظارها الطويل له، ونكتشف أيضاً أنها مؤمنة بأفكاره، وبأفكار الثورة التي أنهت السلطة واستولت عليها، ولأن السلطة أضرت بمصالح والدها فانشق عنها وأصبح معارضاً، وكذلك نكتشف من خلال الحوار الذي أخذ بعداً انفعالياً يتصاعد بينهما لدرجة الخصومة والسبب تلك المرأة التي دخلت حياة سعيد العاطفية..شخصية مختلفة عن الكل.. إنها سراب الفتاة الحبيبة..تلك الملاك كما كان

يوصفها، وعلى الرغم من أنها ابنة رجل من رجال السلطة البائدة، وهي في حالتها الاجتماعية تتناقض والحالة الطبقية الاجتماعية للفتاة غروب.. ولأن مفهوم الصراع الطبقي لدى الكاتب سعيد لم يعد الهاجس الذي عول عليه من أجل بناء الإنسان وحياته وكرامته، فقد ولد ميتاً أجهضته الثورة البديلة للسلطة وبمفاهيم بديلة للمفاهيم الأساسية التي كان يحلم بها سعيد ورفاقه، والتي جاءت عكس الرغبات فولَّدت حقدا لدى الفتاة غروب، وهذا الحقد ولَّدَ الغيرة لديها والذي تحول إلى كرهٍ مؤقت على الأقل. بينما سعيد يرى في هذا التحول أو التناقض الذي طرأ على أفكار الثورة وإن جاء بشكل سطحي أثناء الحوار، يرى فيه دعوة للتمسك بالحبيبة (سراب) ابنة المسؤول في السلطة السابقة، وهذا إن دل فهو مؤشر على أن لا فرق بين المعارضة والسلطة.

- ثم يستمر المشهد بهدوء حذر، أثناء ذلك يحاول سعيد ترتيب الأفكار من خلال ترتيب الحالة، والحالة هنا تعني ترتيب المكان أي ترتيب الحياة، أي إعادة الحياة إلى المكان..إلى المسرح..الإنسان..الأمل.. النهر.. الأطفال. وقهرا للعهر والقهر والخراب والجفاف..

المشهد الثاني

(نتابع في هذا المشهد حوادث المسرحية بشكل مكثف لحوادثها والتي برأي كانت بحاجة إلى إطالة وتفسير لكثير من الأفكار، ولأن تجربة الكاتب جديدة، ولأن هذا النوع من الحوادث يحتاج إلى الكثير من الدفق الفكري السياسي والتاريخي، وإلى المنهج التحليلي لفهم الكثير من الأفكار، وهذا يتطلب جهدا زائداً، وعمقاً في قراءة المداليل، وأعتقد أن الكاتب وتجربته الحالية، والتي هي قلقة بعض الشيء لأنها تشعر وهي تتصدى لإشكاليات يتطلب التصدي لها مغامرة ووعيا عميقاً لم تصل إلى حالة النضج.).. في هذا المشهد يدور حوار بين سعيد والمحقق رجب، وثمة أسئلة تُطرح على سعيد.. ما اسمه ؟.. من أين آتٍ ؟.. ولم تسكن هنا..الخ من الأسئلة المخابراتية المتعارف عليها في الدول المحكومة بالعصا والجزرة.. مثل أغلب البلدان المتخلفة في العالم الثالث

رجب: فقط أريد أن أعرف من أنت ؟.. ولم أنت هنا ؟.. وبعض المعلومات

سعيد: وما نوع من المعلومات التي تريد ؟

ـ ويستمر الحوار بين سعيد والمحقق رجب وحوار عن الأدب والإبداع.. يحاول المحقق رجب أن يكسب قلم الكاتب سعيد، ولكن سعيد يرفض، وعندما يصل إلى طريق محفوف المخاطر تتدخل غروب لتدافع بقوة عن سعيد بحكم أنها ابنة أحد أهم أبطال الثورة الذين وقفوا بوجه سلطة العهد البائد.

رجب: حسناً.. حسناً.. فلتهدأ الأمور بيننا.. سأغادر الآن.. لكنني ربما أعود..(ينظر إلى سعيد) ولكن أنصحكم بالتعاون معنا

غروب: (تنظر إلى سعيد).. لا عليك هؤلاء صغار..صغار

سعيد: أنا الأديب الكبير وطول عمري لم أكن ملكاً لأحد..لم أكن تابعاً لأحد.. الخ.

ـ يستمر المشهد ونتفاجىء بدخول الفتاة سراب مبللة بماء المطر، ومضطربة خائفة..تجلس لفترة قصيرة، ثم تهب واقفة تريد الخروج بسرعة من هذا المكان لأنها ملاحقة من قبل السلطة، لكنَّ غروب تحاول تهدأتها فتنجح نسبياً، ويدور حواراً بينهما عن المدينة والخراب والمسرح

والنهـر والأمـل والحـب والطعـام. وأثنـاء الحـوار تكتـشف غروب أن الفتاة هي سراب حبيبـة سـعيد..لحظات ومونولـوج داخلي يعبر عن أفكار سراب وحديث عن الحنان والأمومة وعن السلطة والكرسي..إلى أن يدخل سعيد ويحدث مشهد درامي بينهما فيه من الذكريات الكثير، ومن ثم الحديث عن التشرد ، وعن الخلاص بالهروب.

سعيد: أنت معي وتسألين عن الخلاص..

سراب: أنت أديب كبير..

سعيد: وأنا أمامك ضعيف.. أنا وأنت لا نؤمن بكل ما يجري حولنا

ـ تحاول (سراب) الخروج من المكان ولكنها تفاجئ (بغروب) أمامها والتي كانت مختفية في زاوية ما من المسرح تستمع إلى الحوار الذي دار بين سعيد وسراب، ثم يدور حوار صاخب بين غروب وسعيد من جهة وهو حوار يخص حبها له، ومن جهة أخرى حوار غروب مع سراب حيث تُصعد غروب من لهجتها الحادة بفعل الغيرة من سراب التي تفاجئ بدورها بمثل هذا التصعيد الذي لا تعرف سببه المباشر إلا أثناء الحوار.

غروب: أنا ماذا؟.. أنا ماذا يا سعيد ؟ أيها الكاتب العظيم.. الخ.. كنت أستمتع بصرخاتك أثناء العمل.. كنت أحاول أن

أقبض على دخان سيجارتك حين تنفعل.. كنت مخلصة للعمل معك.. والدليل أني ما زلت هنا يا سعيد.. وأنت لسرابك.. تدهس بقلبك قلبي كل يوم..

سعيد: لا أريد أن أخدعك.... ومن مقطع آخر نجد مقدار الغيرة والكره اللذين حوّل لحظات اللقاء إلى قلق وخوف من أن يحدث أمر ما ؟!..

سراب: غروب..صديقتي

غروب: صديقتك !..ماذا تقولين ؟!. وهل يصادق الذئب النعجة ؟

سعيد: ماذا تقولين ؟

ـ يستمر المشهد ويستمر الجدال، ويصل رجب المحقق، وهنا تحدث المفارقة.. هل ستشي غروب بوضع سراب وتسلمها إلى المحقق وتنتصر لحب فاشل عاشت خمس سنوات تنتظر تحقيقه ؟.. المسرحية في النهاية تقول لا ، ولكن سراب تغادر المكان متخفية، تحمل ذكرياتها للمكان والإنسان والتاريخ تاركة للزمن ذكراه. ولسعيد وغروب الصلاة.. الصلاة التي تغسل النفس وتزرع الطمأنينة.

ـ سعيد سيكتب ولكن لن يكتب عنهم بل عن الحب:
حين يصبح الحب أو لاً.. يمكن ألا تغيب الشمس.

- البناء الفكري:

المسرحية تحاول أن تتكئ على مجموعة من المفردات (الإنسان، الحب، الأمل، الوطن، المكان) هذه المفردات مجتمعة لا يمكن أن تنمو وتزدهر إلا في مناخ متنوع ومتعدد قوامه النبت الديمقراطي أو على أقل تقدير مجتمع ليبرالي.. هذا ما حاول الكاتب العمل عليه، وبين لنا أهمية الحرية والرجل والمرأة والسياسة(الممثلة بالسلطة وأفعالها) كمؤشرات تفتقد إليها مجتمعاتنا العربية وغيرها من المجتمعات المتخلفة التي تشبهنا.

- البناء الفني:

أجاد رسم الحوار المسرحي من خلال لغة سهلة تعج بالمفردات الحيوية، وكسرِ الساكن فيها وتحويله إلى حياة على ألسنة شخوصها.. وقد يعاب على بعض جملها الطول فتقع في مطب السردية أحيانا.

عُنيَّ برسم شخصياته بحرفية متقنة تنم عن فهم ودراية لتقنية النص المسرحي المعمول به، فاختار لها أسماء تعكس طبيعة الشخصية وأفعالها.. فشخصية الكاتب سعيد الخصيب وتحديداً (الخصيب) وتعني الخصب والعطاء، وبالتالي فهو في المسرحية نموذج المبدع المستمر في إنتاج وغزارة وخصب مؤلفاته من أجل سعادة البشرية.

ـ وكذلك شخصية الفتاة (سراب).. وشخصية (غروب) وما تحملاه من معان ودلائل في نسيج النص على المستويين الفكري والفني (التعبيري)

ـ أخيراً.. الكاتب الشاب والمبدع خالد أبوسويد يرسم طريق إبداعه بقوة الواثق المؤمن على الرغم من الطريق الطويلة الصعبة التي يحاول اجتيازها، والمستقبل أمامه، وأنا واثق من هذا المستقبل.. فانتظروه

د ـ حمدي موصللي

كلمة

الحياة ليست عبث... ولكل شيء حكمة.

قبلاً... كل شيء كان عندي عبثاً... حتى حين أشرب القهوة.. وأمشط شعري.

وحين تعلقت بهذا الساحر العجيب (المسرح) أحببت العبث فيه وحاولت أن أكتبه.... حاولت أن أنقل جنوني في الحياة إلى هذه الحياة الصغيرة (الخشبة)

وأزرع عليها ما أؤمن به... أنا..

حاولت أن أصنع حياةً كما أريد... أعيش فيها بسعادة..

فكانت مسرحية الخيمة

وحين بنيت الخيمة بنيت عالمي الجديد

وفي مسرحية شتاء عاصف جداً صار الحب أو لاً... فوق كل شيء وأمطرت السماء وروداً حمراء... شكراً لك منال هل كنت موفقاً ؟ لا أعرف...

الحياة ليست عبث... ولكل شيء حكمة..

أدركتها متأخراً...

ولكني سأبقى أعبث بالكلمات... أنسجها كما أريد.. أغازلها.. أعشقها... ليولد نص جديد.. وتبعث حياة جديدة... ويبتدع خلق جديد..

وأخيراً من أشكر....

الدكتور حمدي الموصلي شكراً ..عميقاً

الأستاذ والباحث المسرحي والكاتب عبد الفتاح قلعجي.. شكراً

هي مغامرة من قلم صغير يحلم أن يكبر ويصبح من الأقلام العظيمة في سجل الإنسانية...

أجمل ما الحياة أن نغامر فيها.. فإذا نجحنا نكون قد وصلنا إلى الهدف.. وإذا فشلنا فإننا قد استمتعنا بالمغامرة على الأقل...

المؤلف

لحظة

تعالوا نحميها بحبنا

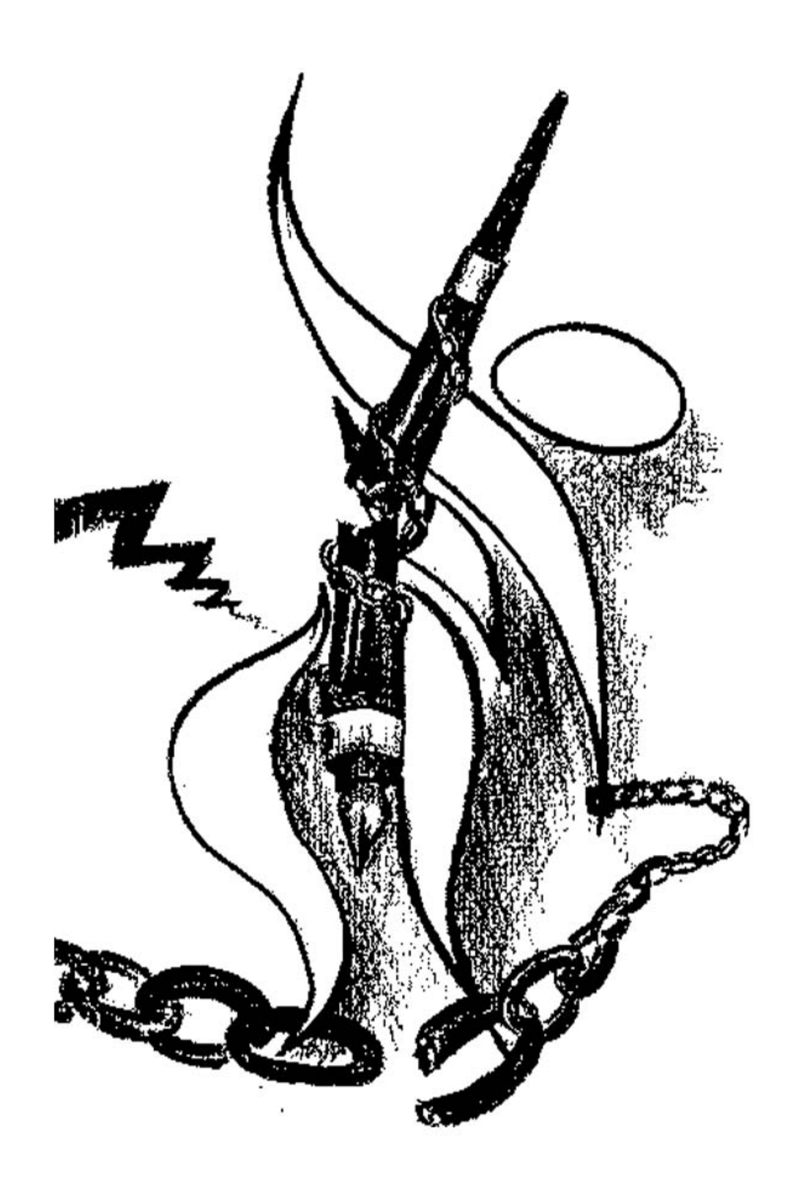
نمسح دمعها

تعالوا نصلي من أجلها

فكم تحتاج اليوم إلى الصلاة

مسرحية.........

شتاء عاصف جداً



(الشخصيات)

سعيد الخصيب

غروب

سراب

المحقق رجب

الزمان: حاضر قريب جداً

المكان: مدينة من مدن هذا الزمان

تمهيـد المشـهد الأول

ليلـةٌ ماطرةٌ مـن شتـاءٍ عاصفٍ جـداً...

صـوت: في مدينةٍ بائسـةٍ.. حزينة الليل.. شاحبةُ الطرقات والأزقة

من مدن هـذا الزمان.. ولـد قلمـي.. مسجونًا.. مفطومـًا عـن ثديـه..

ولــدت كلمــاتي.. معاقــة..ولــدتُ.. أنــــا.. أنـا لا أعــرفُ نفســــي..

أنــا غــريب.. حتــى في بــيتي.. وحــروفي.. تكبــُر معـــي.. وتستجــدي..

ولا أحــد يـسمع صـرختي الـصامتة.. غـريبٌ أنـا مـع أنــي.. أعـرف أيـن بيتي.. ودكـان الحـارة.. كانـت جميلـةً جـدًا.. خضراءُ العيون.. ذهبيةٌ ضفائرها.. مدينــتي.. واليوم.. النهرُ يمشي فيها تائهـًا.. حزينـًا..

أو أنه كان يمشي.. مدينتي.. فتاةٌ جميلةٌ.. دنس عذريتها.. كثيرون.. اغتصبها.. كثيرون وجوهٌ كثيرة عادت من كتب التاريخ.. تلعق جسدها

تسرق الخمر من عينها.. تتقاسمُ الثوب الذي يسترها.. إنهم ماضون

مدينتي فتاةٌ جميلةٌ.. تستجدي النخوة... وامعتصماه... وامعتصماه..

لعلهُ يسمع صرخَتها...

لعلهُ يسمع صرخَتها...

المشـــهد الأول

" غــرفةٌ مــن بنــاءِ مــسرحِ المدينــةِ المتهــدم.. الإضــاءةُ ضــعيفةٌ بحيث يبدو المكان أشبه ببيتٍ مهجورٍ.. وهنـاك عـدةُ أشـياء ملقــاةٌ علــى الأرضِ.. صــورٌ لمــسرحيين كبــار.. بــر يخــت.. شكسبير.. تـشيخوف.. وبعـضُ اللوحـات لمـسرحياتٍ سـابقة تم عرضها على هذا المسرح..

كمـا نلاحـظ أيـضًا بعـض الإكسـسوارات علـى الأرض.. طاولة.. كرسي.. مكتبةٌ صغيرةٌ.. كتبٌ صغيرةٌ.. إناء لوضع الأزهــار.. وأشياء أخرى...

يخيل لنا أن هذه الغرفة المتهدمة كانت غرفة مدير المسرح في العمـق.. هنـاك نافـذة يمكـن أن نـرى مـن خلالهـا النهـر الذي يمر في المدينة ويمكن أن نبصر لمعان البرق وأن نـسمع بين لحظةٍ وأخرى صوت الرعـد.. "

يدخل سعيد الخصيب المسرح يحمل حقيبةَ سفرٍ صغيرةٍ.. يضع قبعةً على رأسه ويرتدي معطفًا.. يتأمل المكان بصمتٍ وحركاتٍ بطيئةٍ للغاية.. السكون الهادئ يجعل الموقف أكثر حزناً وانكساراً.. يرفع الكرسي من الأرض.. ثم يتناول أحد الكتب ويمسح عنه الغبار الكثيف.. يجلس على الكرسي ويبدأ بتقليب صفحات هذا الكتاب.. لحظة صمت.. هدوء...

سعيد: شكسبير مغبَّر ؟!.. " يتناول سيجارة يشعلها ويبدأ بنفخ الدخان محدقًا في اللاشئ ".. أنا لا أعرف كيف جولييت أحبت روميو وهو عليه كل هذه الأوساخ والأتربة؟.. " ينفض الغبار بضرباتٍ خفيفةٍ من يده "   لم حدث هذا ؟..

لا يمكن أن تكون هذه مأساةٌ شكسبيرية.. لا يمكن.. " يحدق في الكتاب مرةً ثانية ".. فعلت صواباً يا جولييت.. لكن هذا المكان.. كان عظيماً.. شامخاً

كشموخ هذه المدينة.. مدينتي.. أما أنت يا روميو فقد أخطأت..لا تسألني لماذا ؟

لعنةُ الله عليك.. " يرمي الكتاب ".. " يتناول صورةً من الأرض ".. تشيخوف.. الكاتب الكبير.. أنت في بلدك

أسطورةٌ عظيمةٌ.. وعندنا.." ينظر في المكان بتقزز ".. إيه على الزمن.. لا يدوم إلا وجه الله الكريم..

" ينظرُ إلى الطاولة وإلى جانبها كرسيٌ على الأرض ".. إيه.. إيه.. والله إني لم أنتبه يا أستاذ وفيق.. مشان الله سامحني..على راسي.. والله على راسي أنت يا حضرة المدير.. الله يديمك للثقافة والمسرح.. والمسرحيين.. أهل.. " يمد يده كالذي يصافح شخصاً ويسحبها بسرعة ".. لا.. لا.. يا أستاذ وفيق.. هذا كلام نفاق.. وأنت تعرفني.. سوف أكتب المسرحية.. مسرحيتي أنا.. فكرتي.. أنا.. لا فكرةَ من هم.. فوقك.. سامحني..

هذا مسرح.. يا رجل.. وليس خطاباً في دعايةٍ انتخابيةٍ لمسؤول.. لا يعرف عن خطابه شيئاً ولا حتى من كتبه له.. هذا مسرح.. يا أستاذ وفيق.. مسرح " ينظر إلى المكان حوله ".. هذا مسرح.. وليس خرابه.. يلعن أبو... "

((يمتنع، يشعل سيجارة ويبدأ بنفخ الدخان بسرعة.. ويبدو عليه التوتر. يحدق بالأرض))

الإضاءة غير جاهزة.. تحتاج إلى تصليح.. منذ ثلاثِ سنواتٍ ونحن نطالب بتصليحها.. والجواب لا ميزانية.. بعثنا بكتابٍ إلى الوزير..

يا حضرة الوزير المحترم.. إضاءةُ مسرح المدينة تحتاج صيانة.. على راسي المسرح.. طبعاً سوف نورد هذا في خطةِ السنةِ القادمة.

" يضحك بسخرية ".. خطة السنة القادمة.. يا سلام.. وجبة غداء في مطعم نجمتين لأصغر مسؤول في البلد بتكلف..

يا حضرة الوزير المحترم.. المسرح.. المسرح.. " ينظر حوله بشيءٍ من البكائية " راح.. " يجلس غارقاً مع شرودٍ وانكسارٍ ويستمر بنفخ الدخان محدقاً في اللاشئ وتكون غروب تراقب سعيداً قبل فترةٍ قصيرةٍ.. فتاةٌ في السابعة والعشرين من عمرها.. جميلة.. بسيطة الشكل واللباس.. "

غروب: قهوة سادة.. يا أستاذ سعيد.. " تقترب غروب منه دون أن تحمل فنجان القهوة.. "

سعيد: " يلتفت بحركةٍ بطيئةٍ من رأسه ".. غروب !.. " يضحك.. بعمق تضحك غروب هي أيضاً.. لحظات.. صمت.. غروب تجلس جانب سعيد "

غروب: لا يمكن أن نجد قهوةً في هذا المكان..

سعيد: صحيح..

غروب: تأخرت..

سعيد: كثيراً ؟..

غروب: لا.. ليس كثيراً.. خمس سنوات.. بس

سعيد: خمس سنوات.." ينفخ دخاناً في الهواء " منذ متى وأنت هنا.. في هذا الـ ؟.. " ينظر حوله متمعناً " أقصد في هذا المسرح.... كدت أنسى

غروب: منذ سنوات.. أعتقد أنك نسيت حينها أن تودعني

سعيد: نسيت.. لا.. لم يمنحوني الفرصة..

غروب: أعلم طبيعي المهم أني ما زلت أتدرب على المسرحية

سعيد: صحيح هذا خبر مفرح في هذا اليوم الحزين

غروب: كل يوم في الموعد ذاته.. الساعة الرابعة مساءً في الساعة الخامسة موعد القهوة مع الاستراحة.. ربع ساعة فقط.. ونكمل بعدها البروفة..لا يمكن لي أن أنسى تلك المواعيد.. كم كانت لحظات جميلة كيف ننسى..

سعيد: صحيح.. صحيح كيف ننسى..

غروب: تريد أن ترى.. " ينظر سعيد بها بدهشة " حسناً راقب.." تقوم غروب بأداء مشهد قصير بينما يراقبها سعيد يتشتت وينفخ الدخان في الهواء "

سعيد: برافو جميل، جميل " ينهض من مكانه " مزيداً من الإحساس بالكلمة مزيداً من تعابير الوجه تكون النتائج أفضل.. جميل.. جميل جداً

غروب: هل تهدم بيتك أثناء الثورة

سعيد: لا أعرف..

غروب: لم تره..

سعيد: لم أره..أتيت من غربتي إلى هنا مباشرةً

غروب: كنت متأكدة أنك ستأتي إلى هنا

سعيد: لهذا كنت تنتظرين هنا . " صمت يحدق الاثنان يبعضهما "

غروب: أجل..

سعيد: ألم تملي الانتظار ؟..

غروب: لم أمل... كنت سعيدة بذلك

سعيد: لماذا ؟.. " صمت.. نرى لمعان البرق وصوت الرعد "

غروب: " تتهرب من الجواب " سمعت عن أخبار الثورة

سعيد: سمعت..

غروب: وأخيراً سقطت تلك السلطة الظالمة بقوة الشعب والمعارضة لقد تغير كل شئ الآن.

سعيد: نعم.. نعم. وتدمر كل شئ.." ينظر حوله

غروب: " بانفعال " من الذي دمر كل شئ ؟.. من الذي دمر البشر والحجر والشجر..

سعيد: الجميع..

غروب: الجميع..

سعيد: " يرتفع صوته قليلاً " الجميع السلطة.. المعارضة والخونة.. الجميع، الجميع.. ذهب شخص وجاء شخص.. ماذا يعني هذا لا شئ نفس الشيء ذات الشيء " انفعال " قتل.. بكاء.. دموع.. طفل على ثديه يتيم.. وردة في البستان ذابلة و" ينظر حوله " شمسٌ تحجبها غيومٌ سوداء.. لا أعرف متى ستتجلي.. لا أعرف إن كانت ستتجلي يوماً " يشعل سيجارة "

غروب: ماذا كنت تريد ؟. ها.. قلي.. أكان يعجبك الوضع.. طبعًا.. أنت هناك.. في الغربة.. كاتبٌ وأديبٌ مشهور.. ونحن.. نحن هنا.. تحت الظلم.. تحت السوط.. تحت أجسادهم القذرة..

سعيد: كنت أريدُ أن أموت قبل أن أرى ما أرى.. هنا.. زرعت حروفي الأولى.. هنا سقيتُ صفحاتي البيضاء حبًا وحروفاً. هنا.. كبرت.. وكبرت كلماتي.. وأثمرت..

غروب: هنا.. التقينا.. هنا أحببتك.. أنا.. أحببتك.. هل تذكُر هذا الشيء؟.. طبعاً لا.. لأن قلبك ليس معي.. لأن قلبك هناك.. معها.. تذكرها.. مؤكد.. لم تنسها كل هذه السنوات.. تذكر.. سراب.. ابنة أحد أهم رجال السلطة المندثرة.. ابنةُ جلاد..

سعيد: إنســانة..

غروب: ابنة جلاد.. قاتل..

سعيد: كفى.. سراب ليست مثلهم.. إنها إنسانة.. ملاكٌ بثوب إنسان.. صادقة.. واضحة.. سراب.. سراب.. آه..

غروب: وأنـــا.. ؟

سعيد: وأنتِ ماذا ؟..

غروب: ابنةُ معارضٍ منشق.. أنا إنسانةٌ أيضًا..

سعيد: هذه سخافات.. السلطة – المعارضة أكبرُ كذبةٍ نعيشها.. ونصدقها طوعًا أو قسراً.

غروب: سخافات.. أنت هكذا دائماً.. مذ عرفتك لا تؤمن إلا بنفسك وأفكارك.. لا تؤمن إلا بما يكتبه قلمك.. ولهذا كنت دائماً تقف على الحياد..

سعيد: لأني لا أريد أن أكذب كما يكذبون.. كما تكذبون. لا أريد أن أنافق كما ينافقون.. نعم لا أؤمن إلا بنفسي وقلمي..

هـذا هـو المنطـق.. الـسلطة تطلـق مبـادئ وشـعارات ونظريـات.. ولا تطبقهـا وتبقـى حـبراً علـى ورق.. وتـأتي المعارضـة وتـستغل الموقف وتنشر هي الأخرى مبادئ ونظريـات.. وعنـدما تـسيطر علـى الـسلطة لا تطبـق منهـا شـيئاً وتـصبح الـسلطة الـسابقة معارضة وضاع الشعب.. ضاع الشعب..

غروب: أخبرنـي.. مـن الـذي أخرجـك مـن بيتـك قـسراً.. دون أن تـودع أمـك أم سـعيد الـتي ماتـت حـسرةً عليـك.. الـسلطة أخبرنـي أيـضاً.. كـم مـرةً سُـجنت ؟.. كـثير.. مـن الـذي سـجنك ؟.. السلطةُ.. أخبرني أيضاً..

سعيد: أخـبريني أيضاً.. مـن الـذي أطفـأ هـذا المـسرح.. ومـزق سـتارته حتى أصبح عورةً أخجل من النظر إليه.. من الـذي داس علـى شـكسبير.. وتشيخوف.. أخبريني يا غروب.. يـا ابنـة المـسرح.. هذا هو الرحم الذي أنجبك وأنجبني.. وأنجب الـكثير.. هـذا هو الذي رضعنا منه معنى الحياة.. معنى الـسعادة في العمـل.. هـذا هـو المكـان الـذي علمنـا كيـف نـصنع عالمنـا الجميـل.. كما نحب نحن.. لا كما يريدون هـم.. أخـبريني أيضاً.. لم أنت هنا ؟.. في هذا القبر المهجور.. ولم تهجريه..

غروب: لأني.. " تمتع " فلنقف عند هذا الجدل القديم الجديد.. " تنظر في سعيد بحب.. سعيد غارقاً مع نفسه.. "أتشعرُ بالبرد..؟"

سعيد: نعم.. أشعر..

غروب: هناك معطفٌ في الداخل.. أحضره لك..

سعيد: ليتهُ برد البدن والجسد.. ليته.. " يبدأ بترتيب المكان.. وحمل الكتب "..

غروب: سنعمل من جديد.. " تساعده في حمل الكتب "

سعيد: سنعمل من جديد.. سوف نعيد الحياةَ إلى هذا المكان. هذا المكان الذي جعل لحياتنا معنىً يوماً ما.. سوف نرد له الدين الآن.. سوف نعيد له الضوء.

غروب: سوف نكمل المسرحية..

سعيد: تذكرينها.. رغم كل هذه السنوات..

غروب: ما زلتُ أتدربُ عليها.. وحدي..

سعيد: سوف نكمل المسرحية.. البداية إضاءة فانوسٍ تنبعث من زاوية المسرح.. " يشعل فانوساً موجوداً على الأرض ويضعه على الطاولة.. يستمر الحوار الآن بين سعيد وغروب وهما يقومان بترتيب المكان.. المكتبة والكتب ومسح الغبار ورفع الأشياء عن الأرض.. "

غروب: الشتاءُ باردٌ هذه السنة والمطرُ غزير..

سعيد: اللّـه يبعث الخير.. يرفع صورةً ويعلقها على الجدار

غروب: منذ سنواتٍ ولم تمطر هكذا.. " تذهب باتجاه النافذة المطلةِ على النهر ".. هل تعتقد أن النهرَ سوف يجري هذا العام ؟

سعيد: منذ سنواتٍ ونحن نقول أن هذه السنة ليست كسابقتها والنهرُ مؤكدٌ أنه سوف يجري.. ولا يحدث شئٌ من هذا الحديث.. ويبقى النهرُ وحيداً شارداً كعهدنا بهِ.

غروب: " تنظرُ بعيني سعيد ".. لكني أشعرُ أنه سيجري هذا العام.. " يلمعُ البرقُ من النافذة ويدوي صوت الرعد

سعيد: أحب أن أتفاءل دائماً.. إن شاء اللّه يجري من جديد.. ونعودُ ونرى ضحكات الأطفال وهم يلعبون على ضفتيه.. كم أتمنى لو بقيتُ طفلاً.. أحــلام.. الأفضل أن نكمل تنظيفَ المكان فأمامنا عملٌ كثـيرٌ..

غروب: معــاً.. " تنظر بسعيد "

سعيد: معــاً.. هيّـا.. " لحظاتٌ قصيرةٌ ويحدث بعدها إطفاء "

المشـهد الثـاني

صـوت: ها أنا غريبٌ من جـديد..

رغم أنني في المكان الذي أحب.. في المكان الذي صنعتُ فيه اسمي وعالمي.. وبنفس المكان الذي أتمنى لو أموتُ فيـه..

أنـا غريـبٌ.. فهـل مـن أحـدٍ يبحـثُ عـني.. عـن كلمـاتي.. عـن فتاتي..

" يُـضاء المـسرح بإضـاءةٍ خفيفـةٍ مـن ضـوء الفـانوس.. نـرى سعيد الخصيب على الطاولة ويمسك جهاز راديو يبحثُ عن موجةٍ فيه.. "

سـعيد: عنـدما يهطـلُ المطـر تتعطـل جميـع أجهـزة البـثِ في هـذه المدينة.. ها.. هذه هي المحطةُ الوطنية.. " موسيقى حماسية.. يأتي بعدها بيان "

المذياع: البيانُ رقم عشرة لهذا اليوم: إن السلطةَ الجديدة.. ترجو من جميعِ المواطنين الشرفاء التعاون معها في إلقاءِ القبض على

بعضِ الفارين من العدالةِ ولا سيما من أبناء النظام السابق.. هـذا النظـام الغاشـم الـذي شـردَ أهلكـم وقتـل آبـاءكم وأبناءكم.. إن السلطة.. " يقطع سعيدٌ البث ".

سعيد: السلطة.. المعارضة.. كلها سخافات.. لا مشكلة.. سأكتبُ من جديد.. " يرتب بعض الأوراق ويتهيأ للكتابة ".. ولكن عن أي شئٍ سأكتب هناك أمورٌ كثيرة تجول في خاطري ولا أعرفُ بأيٍ منها أبدأ.." يفكر قليلاً" سأكتب عن هذا الشتاء العاصف.. حسناً.. في البدايةِ يجب تحديد الزمان والمكان.. " يفكر ".. حسناً.. الزمان.. زمانٌ بعيدٌ جداً.. وقريبٌ جداً المكان.. " يلتفت حوله ".. هذا المكان " يستمر لحظةً قصيرةً في الكتابة بعدها يمزق الورقة ".. لا فائدة.. الأفكار والكلمات تغادرُ مني.. تهربُ مني ولا أعرف لماذا.. " لحظة ".. غروب أين غروب اليوم.. لم تأتي بعد.. تأخرت كثيراً.. هل يمكن أن أكون قد اشتقت إليها غروب.. ما أجمل هذا الاسم.. غروبٌ فتاةٌ من مدينتي.. الحزينة.. آه.. أين هي الآن بدأتُ أضجر وحدي.. " يلتفت إلى الأوراق ".. محاولة أخرى.. يا سعيد.. " يبدأ ثانيةً بالكتابة لحظة ويدق الباب".. لقد جاءت أخيراً.. أنا هنا.. ادخلي " يدخل المحقق رجب.. رجب ضخم الجثة.. طويل القامة.. عريض المنكبين

ذو شاربٍ عريضٍ.. يدخل مزهـو اً يراقب المكـان بشيءٍ مـن الاحتقـار.. دون أن يعـير لـسعيد أي انتبـاه.. يجلـس علـى الكرسي أمام الطاولة.. "

سعيد: أي.. خدمة يا سيد..

رجب: المحقـق رجـب.. المحقـق الجديـد في هـذه المدينـة.. المحقـق السابق.. طـار.. ولن يعود أبداً.. وأنا هنا الآن..

سعيد: وبما أستطيع أن أساعدك..

رجب: لا شئ.. فقط كنت أمر من هنـا.. في الشتاء العاصف.." يمتنع ".. فضول.. فضول يا أخي.. هكذا نحن دائماً.. أقصد المحققين.. الفضول شئٌ أساسيٌ في حياتنا.. إذا مرت نملة في غـير طريقهـا.. فالفـضولُ يـدفعنا لـسؤالها.. وإذا أمطـرت الـسماء في الـصيف.. مباشـرةً.. مباشـرةً.. يـصيبنا الفـضول ونـسأل عـن الـسبب.. وإذا.. "يمتنـع".. ولكـن لم أسـألك عـن اسمك يا سيد.. الفضولُ خانني هذه المرة.. عفواً من تكون ؟..

سعيد: ولمَ تسأل عن اسمي ؟..

رجب: " بغضبٍ شديدٍ ".. فضول.. " يتنعم بصوته " فضول.. يا سيد أنـا المحقق رجب.. مؤكـدٌ أنك لم تسمع عني.. بدأتُ أظن

أنك لست من هذه المدينة فلا أحد في هذه المدينة لا يعرف رجب.. المحقق رجب..

سعيد: بل أنا من هذه المدينة.. وأبي وجدي قبلي من هذه المدينة..

رجب: إذاً ربما أبوك وجدك يعرفانني.. اسألهما.. اسألهما..

سعيد: جدي ميتٌ.. وأبي أيضاً..

رجب: لا بأس.. اسألهما.." يستدرك ".. أقصد لوكانا على قيد الحياة..

سعيد: والآن.. ماذا تريد ؟..

رجب: فقط أريد أن أعرف من أنت ؟.. ولمَ أنت هنا ؟.. و.. يعني.. معلومات يا أخي.. معلومات..أنا أحب المعلومات والأخبار والـ.. أكثر من زوجتي لعنةُ اللّه عليها..

سعيد: وما نوع المعلومات التي تريد ؟..

رجب: أي شيء.. كل كلمة تنفع في هذه الأيام.. أنت تعلم أنها أيام ثورة.. والحرب لم تنتهي بعد وما زال الكثير من أنصار النظام السابق فارين من وجه العدالة.. يعني باختصار نحن نعيشُ حالة طوارئ وأحكام عرفية.. ومنع تجول.. و.. يعني أمورٌ معروفة في حال حدوث ثورة.. أو انقلاب

سعيد: حسناً.. سعيد الخصيب هذا هو اسمي كما هو مدون في البطاقة.. العمر خمسٌ وثلاثون عاماً..أديب وكاتبٌ مسرحي..

رجب: سعيد الخصيب: الاسم ليس غريباً عني..

سعيد: طبيعيٌ جداً أن تكون معظم الأسماء ليست غريبةً عن أهل السلطة.

رجب: ممتاز.. هذا هو الكلام الصحيح.. يا أخي أنتم الأدباء تحسنون رصف الكلمات.. والجمل..

سعيد: إبداع.. اسمه إبداع الكلمات والجمل وليس رصفها.. الرصف يكون للطرقات..

رجب: خطأ في التعبير.. سامحني.. فنحن لا نجيد اختيار الكلمات.. مثلكم عذراً يا سيد.. الآن نعود.. " مفكراً ".. سعيد الخصيب.. سعيد.. كاتب.. لا بأس.. لا بأس.. سوف أحصلُ على تقريرٍ كاملٍ عنك من ولادتك وحتى آخر كلمة تقولها حين أغادر هذا المكان.. سعيد.. سعيد الخصيب.. الاسمُ ليس غريباً أبداً.. عني.. آه.. قبل أن أغادر.. فضولي يدفعني إلى معرفة لم تسكن هنا.. في هذا المكان المتهدم.. واضحٌ أنك رتبت هذه الغرفة جيداً..

سعيد: هذا مسرح المدينة العريق.. عمره أكثر من مائة عام.. وليس مكاناً متهدماً..

رجب: مرةً أخرى أخطأت التعبير.. لا بأس.. لم تجبني على سؤالي.. لم أنت هنا ؟.. كأنك مخبئ عني أحداً ما.. أو أنك

سعيد: هذا المسرح بيتي.. أو مثل بيتي.. ولا ينبغي أن يبقى مهجوراً.. يجبُ علينا أن نبقى فيه..

رجب: ولكنه متهدم.. متصدعُ الجدران.. وبلا أثاث.. أو..

سعيد: ولكنه تاريخ.. والتاريخ يبقى..

رجب: التاريخ للسلطة فقط..

سعيد: التاريخ للشعوب..

رجب: بدأ الأمرُ يتطور بيننا.. أنتم الأدباء مصدر إزعاج دائماً.. هل تعلم أنه يمكن أن ألقي القبض عليك الآن..

سعيد: بأي حق ؟..

" يأتي صوت غروب وهي تدخل المسرح "

غروب: القهوة السادة يا أستاذ سعيد..أحضرتها من البيت.. " تكون تحمل إبريق فيه قهو ة وتفاجأ بوجود رجب "

رجب: بـأي حـق ؟.. " ينظـر إلى غـروبٍ بارتيـاب ".. الحقـوق عليـك كثيرة أيها الأديب.. زوجتك.. أم خطيبتك ؟..

سعيد: " بارتباك "..لا.. " ينظر بغروب "

رجب: وليست أختك..

سعيد: أيضاً.. لا

رجب: مكانٌ متهدم.. كاتبٌ وأديب.. وفتاةٌ جميلة.. " يتمعن بغروب " فضولي يدفعني إلى معرفة هذه الفتاة.. ومن تكون ؟..

سعيد: أيها السافل..

غروب: " بـشيء مـن الثقـة " غـروب.. مؤكـد بأنـك مـن الـسلطة الجديدة التي قامت بالثورة

رجب: نعم.. " باعتزاز " رجب.. المحقق رجب.

غروب: وأنا ابنةُ أحد أهم أبطال الثورة الذين وقفوا في وجه الظلم والقهـر.. وضـحوا بـالكثير.. بإمكانـك أن تعـرف المزيـد عـني..إذا عـدت إلى أسيادك.. والآن هـل أنـت هنـا في مهمـةٍ رسميةٍ ؟

رجب: " بارتباك ".. هذا المكـان المهجـور قـد يكـون ملجـأ للفـارين من العدالة..

غروب: هذا المكان المهجور.. " بسخرية " مسرحُ المدينةِ العريق.. ولا يمكن أن يكون ملجأً للفارين من العدالة.. يمكن أن يكون ملجأً لكلِ إنسانٍ مظلوم لكل إنسانٍ طموحٍ ومبدع.. فقط..

رجب: حسناً.. حسناً.. فلتهدأ الأمورُ بيننا.. سأغادر الآن.. ولكنني ربما أعودُ لأسبابٍ أمنيةٍ بعض أن أحصل على بعض المعلومات الدقيقة " ينظرُ إلى سعيد " ولكن أنصحكم بالتعاون معنا.. في أن يبقى هذا المكان للمبدعين.. فقط ريثما نبحث في أمرك.. وإلا.. لا أعرف.. ماذا سيكون.. " يخرج رجب "

غروب: " تنظرُ بسعيد الذي يبدو عليه الضجر " سعيد.. " ينظرُ سعيد بها " لا عليك.. هؤلاء صغار.. صغار.. وأنت الأديبُ الكبير..

سعيد: أنا الأديبُ الكبيرُ.. طوال عمري لم أكن ملكاً لأحد.. لم أكن تابعاً لأحد.. كنتُ ملكاً لنفسي وسيداً عليها.. كنتُ أتبع قلمي وحروفي.. وأرحل معها دائماً.. أحمل أوراقي في حقيبةِ أسفاري أينما ذهبت.. وكم كنت أشعرُ بأني قويٌ معها..

أنا الأديب الكبير.. ابن هذه المدينة.. وأبي وجدي.. وأمي

أنـا الأديـب الكـبير.. الـذي صنع مجـداً في هـذه المدينـة.. في هذا المكان المتهدم

الذي صنع اسماً.. صنع شمساً.. أنـا الأديـب الكـبير.. المنفـي عن مدينته.. لسنواتٍ.. حزينةٍ رضيتُ بغربتي.. ورحيلي.. حتـى لا أرضى لكلمـاتي أن تكـون عبيـدة منـابرهم وعلـى ألـسنة سـادةٍ لا يعرفـون معانيهـا ويقـدرونها.. رضيت بغـربتي.. حتـى يبقـى قلمـي حـراً.. يكتـبُ مـن أجـل النـاس.. ووجـعِ النـاس.. وأحلامِ الناس.. لا من أجل دعايةٍ انتخابيةٍ لسلطةٍ ظالمة.. فلـم يرتـاحوا لـي.. وطعنـوا بانتمـائي وديـني و.. وأبعـدوني.. لاجئـاً.. عاقاً.. أنا الأديب الكبير المنفي عن مدينته لسنواتٍ حزينـةٍ.. طويلةٍ.. أعود.. إليها وقد اشتقتُ لبساتينها.. لنهرهـا الجـاري في وسـطها حزينـاً شـارداً كهـلاً.. أعـودُ لمـدينتي.. لمـسرحها المتهدم.. لأجدَ نفسي غريباً منفياً من جديد.. مع أن.. " يمتنـع ".. سأذهب لأمشي قليلاً في شوارع المدينةِ الشاحبة..

غروب: المطرُ غزيرٌ في الخارج..

سعيد: عساه يبرد الجمر المتقد في أعماقي.. وداعاً.. " يخـرج سـعيد.. غروب وحدها على المسرح "

غروب: أيٌّ عالمٍ هذا الذي نعيش.. هذا الرجل الآتي من كواليس الزمن لو أنه في بلدٍ آخر لصنعوا له تمثالاً.. صحيح.. يا تشيخوف " تنظر إلى الصورة " صوت مسجل.. ((سعيد الخصيب هذا الاسم الكبير الذي أحببته مذ عرفته أو ل مرة منذ سنوات.. أحببته أديباً وحراً.. ومتمرداً.. أحببته أنانياً لا يؤمن إلا بنفسه وقلمه.. أحببته إنساناً مخلصاً لحبه الذي ليس لي..)) " صمت قصير.. تتقدمُ إلى مقدمة المسرح وتؤدي مشهداً تمثيلياً قصيراً من مسرحية لشكسبير.. الإضاءة مركزة عليها.. تدخل سراب المسرح وقد ابتلت بمياه المطر.. تبدو شاحبةً من البرد.. ترتجف.. ويظهر عليها الخوف والارتباك وتقطع غروب المشهد التمثيلي.. وتفاجأ بوجود سراب على المسرح.. بعد لحظة ترقب "

سراب: بردانـــة...

غروب: " تخلعُ معطفها وتلبسه لسراب " البسي هذا.. سوف تشعرين بالدفء.. استريحي.. استريحي..

سراب: " مازال الخوف ظاهراً في عينيها.. تجلس ثم تنهض بسرعة " لا.. لا أستطيع.. عليّ أن

غروب: لا تخـافي.. لا تخـافي.. اسـتريحي قلـيلاً.. الجـو عاصـفٌ في الخارج ولن أسمح لك بالذهاب الآن.. واضحٌ أنك منذ فترةٍ طويلـةٍ وأنـت تحـت المطـر.. أخـشى أن تـصابي بالزكـام.. " غـروب تنظـر إلى سـراب تحـاول أن تجعلـها مطمئنـة ".. ترتجفين كثيراً..

سراب: البرد يخرقُ عظامي من الداخل.

غروب: لا عليكِ.. ستشعرين بالدفءِ بعد قليل.. هذا المكان يمنحُ الدفء..حتى في الصيف هل أنت خائفة من شيءٍ ما ؟.. الجو عاصفٌ في الخارج وأنت وحدك.. ما اسمك ؟

سراب: " تنظر إلى غروبٍ بارتياب وتصمت.. تحاول الوقوف ثانيةً "..

غروب: كما تريدين.. كما تريدين.. فيما بعد..أنتِ جميلة.. أشعر بأني أعرفك منذ سنوات.. هل يمكن أن نكون قد التقينا يوماً ؟

سراب: لا.. لا أعتقد ذلك..

غروب: أنت من هذه المدينة ؟..

سراب: " تهزُّ رأسها بالقبول "

غروب: كانت مدينةً جميلة.. وهي الآن مدمرةٌ تسكنها الأشباح.. لعنةُ الله على السلطة القديمة.. فهي سبب كل ما حل بنا..

سراب: " تنظر بغروب بخوف ".. تحبينها ؟..

غروب: كثيراً.. رغم أنها ليست بالأصل مدينتي ولكني أمضيتُ فيها وقتاً طويلاً.. ولي فيها ذكرياتٌ كثيرةٌ.. ذكرياتٌ سعيدةٌ وحزينةٌ أيضاً وخصوصاً في هذا المكان.. نسيت.. اسمي غروب..

سراب: اسمٌ جميل.. رأيتك تؤدين دوراً جميلاً.

غروب: أنا أعمل في المسرح منذ سنوات..

سراب: المسرح.. عالمٌ جميلٌ..

غروب: جميلٌ جداً.. نصنعه كما نريد.. تحبينه أنت أيضاً..

سراب: " لحظة تردد ".. نعم.. أحبه.. ولكن.. " تمتنع وهي شاردة"

غروب: ولكن ماذا ؟

سراب: أقصد أحب أن أشاهد العروض.. لكني متابعةٌ فقط.. لا أعملُ به يقولون أنه صعبٌ جداً.

غروب: صحيح.. يحتاجُ إلى عشق.. إلى تضحيةٍ وصبر ولكنه بالنهاية ممتعٌ كثيراً..

سراب: أحسدك حقاً..

غروب: تحسديني ! على ماذا ؟ !

سراب: هناك هدفٌ تعيشين من أجله.. هناك حبٌ يلون حياتك.. لا تستغربي.. عرفتُ هذا منك وأنت تؤدين المشهد

غروب: حب ! مستحيل.. " تنسحبُ باتجاه النافذة وتراقب الشتاء في الخارج "

سراب: ولكنه موجود.. الأمل هو الشيء الوحيد الذي يدفعنا للحياة.

غروب: الشتاءُ عاصفٌ في الخارج.. لعله يجري هذا العام

سراب: النهر.. ؟

غروب: النهر..

سراب: الأمل موجود.. أشعرُ بأني أفضل وعليّ أن أغادر المكان.. " تقفُ وتشرع بالخروج "

غروب: لا تذهبي.. " صمت ".. أما زلت ترفضين أن تخبريني عن اسمك.. لمَ أشعرُ بأني أعرفك ؟.. أعرفُ وجهك.. شعرك.. لون عينيك.. قامتك.. أعرفك جيداً.. لا تخافي يمكن لنا أن نكون صديقتين.. حاولي أن تطمئني لي.. حسناً.. " تجلس سراب ثانيةً ".. تأكلين ؟.. لا تخجلي..

سراب: أشعر فعلاً بالجوع.. منذ الأمس لم أتناول شيئاً.

غروب: حسناً.. دقائق وسأحضر لك شيئاً من الخارج.. لن أتأخر.. " تهم بالخروج "

سراب: غروب.. " تستديرُ غروب نحوها ".. المطر

غروب: " بابتسامةٍ حزينةٍ ".. ليتها تمطرُ أكثر.. " تخرج "

سراب: " وحدها ، تنظرُ جيداً بالمكان ".. المكانُ شاحب.. حزين.. ولكن فيه شيءٌ غريبٌ.. فيه حنية أمي تجري في عروقي ودفء صدرها.. لمَ حدث كل هذا ؟.. من أجل كرسي.. تهدم تاريخ.. وانحجبت الشمس.. تباً لكل طغاةِ الأرض.. وإن كان أبي منهم.. والدي.. فقط لأنك والدي.. ربي يحميك.. " تمسكُ كتاباً وتقرأ قليلاً.. لحظةً وترفع بصرها.. " يمكن أن تزهر وردةً فوق ثلج.. والغدُ ربما أفضل.. " تعودُ للقراءة بصوتٍ مرتفعٍ.. لحظة ويدخلُ سعيد.. سراب وجهها معاكسٌ له "

سعيد: لا شيء في هذه المدينة يبعثُ للفرح.. لماذا عدت ؟.. " يخلع المعطف وهو داخل " " سراب تصمتُ عن القراءة.. سعيد متجمداً في مكانه " تقرأُ رسالة أنثرها في الهواء "..

سراب: " صوت مسجل ".. الصوت..

سعيد: " صوتٌ مسجل ".. الصوت.. " يستمرُ الحوارُ مسجلاً "..

سراب: الصوتُ يرعشُ جسدي..

سعيد: الصوتُ يرعشُ جسدي..

سراب: " وهي تستديرُ برأسها نحو سعيد ".. سعيــد.

سعيد: ســراب.. قصةُ الزمن.. ســراب.. حرفٌ.. وضوءٌ.. وجســدٌ..

سراب: سعيــد.. " تقـف ".. عاشـقي.. " يقـتربُ سـعيدٌ مـن سـراب.. الحوارُ مباشرٌ الآن "

سراب: خمسُ سنوات..

سعيد: وستةُ أشهرٍ وتسعةُ أيامٍ..

سراب: ها أنت.. كما عرفتك.. لم تتغير..

سعيد: أما أنتِ تغيرتِ كثيراً.. أصبحتِ أكثرَ جمالاً.. وقد كنت جميلة.. " صوت مسجل من الخارج "

صوت: ســراب.. مليكتــي.. منــذ عرفتهــا قبــلَ ســنواتٍ عديــدة.. تملكـني حبهـا وعـشش بـداخلي ولم تـستطع الـسنوات أن تمحوها من أعماقي.. وبقيتُ أعيشُ لها.. وأكتبُ من أجلها.. ومن أجلها لم يدق قلبي لفتاةٍ.. رغم أنها ليست قدري

سراب: الشتاءُ عاصفٌ في الخارج..

سعيد: عاصـفٌ جـداً.. مـا زلـتُ لا أصـدقُ عـيني.. كـيف ؟.. أنـا.. وسراب.. معاً بعد سنوات.. سراب.. أين كنت ؟..

سراب: أنتَ أين كنت ؟..

سعيد: أنا ؟.. منفيّ عن بلدي.. عن مدينتي.. عن أمي..

سراب: سامحني..

سعيد: الذنبُ ليس ذنبكِ..

سراب: ولكنــي..

سعيد: ولكنك لستِ منهم.. وإن كنت ابنة أحدهم.. " ينظرُ بها ".. لم أنساكِ.. كنت لوحةً جميلة أحملها في حقيبة أسفاري.. كنتِ حرفاً.. كنتِ ضوءاً.. معك أشعرُ بأني قويٌّ.. وبأني ضعيف.." سراب تشعرُ بحزنٍ وكآبة.."..سراب.. حدثيني عنكِ..

سراب: ماذا تريدُ أن تعرف.. كلُّ شيءٍ انتهى.. المهزلة.. انتهت.. وتشتتنا.. ولا أعرفُ عن أمي وأبي أي شيء.. ورجالُ السلطة الجديدة.. لا يفرقون بين أحد.. الجميع عندهم.. مذنبون.. وها أنا.. هاربةٌ.. متشردةٌ ولا أعرفُ متى الخلاص.. " بحزن "

سعيد: أنتِ معي وتسألين عن الخلاص.. " صوت رعد وضوء البرق "

سراب: حين كنتُ هاربةً.. والمطرُ يضربُ وجهي بشدة.. لا أعرف كيف ساقتني قدماي إلى مسرح المدينةِ هذا.. نظرتُ به وهو متهدم.. بائسٌ حزينٌ.. تملكني شعورٌ غريبٌ.. لا أستطيعُ أن أصفه لك.. فقط أحسستُ بأنه مكانٌ آمنٌ.. ربما كنت أسمع صدى كلماتك تناديني إليها.. تشدني إليها.. لا يمكنُ لي أن

أتخيـل حـالتي.. انـدفعتُ إلى هنـا.. مطمئنـةً .. هادئـةً.. كـأني أعرفُ بأنك هنا.. رغم السنين.. " تجلسُ على الكرسـي أمـام الطاولة وتمسك كتاباً وتقلبُ أو راقه "

سعيد: اللـه.. لمَ أشعرُ نفسي مغروراً الآن.. سراب.. تهرب إلي..

سراب: أنت أديبٌ كبيرٌ..

سعيد: أنا أمامك ضعيف.. كطفلٍ صغيرٍ يحتاج حضنَ أمه..

سراب: أرجـوك..

سعيد: أرجوكِ.. "يجلس مقابلها على الكرسي".. لا تهربي ثانيةً.. ابقي معي.. سأحميك.. " تظهرُ غروب من الكواليس تحملُ طعاماً"

سراب: لا أستطيع..

سعيد: ولكن لماذا ؟.. سراب.. ما زلت..

سراب: لا أستطيع.. الظروفُ أقوى منـا..

سعيد: كلنا نعبدُ إلهاً واحداً في السماء..

سراب: أعرف..

سعيد: وأنـا وأنـت لا نـؤمنُ بكـل مـا يجـري حولنـا.. لا نـؤمن إلا بأنفسنا..

سراب: أعرف.. أعرف.. ولكن.. سعيد.. أرجوك لا أمل.. وخاصةً في هذه الظروف.. عليّ أن أغادر.. الوضع صعبٌ في الخارج والعيون تلاحقني..

سعيد: سأحميكِ.. " تكون غروب قبل فترةٍ قصيرةٍ تستمع للحديث بين سعيد وسراب "

سراب: سأغادر.. لا أستطيع.. ودا.. لا لن أو دعك.. " سراب تشرع بالخروج.. وتفاجأ هي وسعيد بوجود غروب.. لحظةُ صمتٍ قصيرةٍ.. أصوات رعدٍ ولمعان برق "..

غروب: أحضرت لك الطعام.. قلتِ لي بأنك جائعة.. سراب.. لم يخطأ شعوري حين أحسست بأني أعرفك.. رسمتُ صورتك .. من خلال كلمات سعيد عنك.. " تعرضُ عليها الطعام وتحدق بعينيها.. " سعيد.. معك حق..

سراب: غروب.. صديقتي..

غروب: صديقتي.. ! " مندهشة "

سعيد: التقيتما إذن.. غروب.. هذه هي سراب.. هذه هي سراب التي حدثتكِ عنها..إنها حقيقةٌ الآن.. وليست مجرد خيالٍ.. أو ذكريات .. هذه هي الإنسانة التي..

سراب: سعيد.. أرجوك..

غروب: لا.. لا..يا سراب.. هذا سعيد.. منذ سنواتٍ وأنا أحلم أن يقولها لي .. لكنه لم يفعل.. وفرها لكِ.. حبسها لسنواتٍ طويلة .. لكِ.. وأنا.. غروب.. التي انتظرته هنا.. في هذا المسرح المتهدم خمسَ سنوات.. أنتظرُ أن يعود وكنتُ أعرف بأنه سيعود يوماً.. حرمني إياها ولا أعرف السبب..

سعيد: غروب.. أنتِ غالية.. أنتِ..

غروب: أنا ماذا.." بصوتٍ خافتٍ قليلاً ".. أنا ماذا ؟.. ابنةُ معارضٍ منشق وهي ابنةُ السلطة..

سعيد: كلها سخافات.. غروب.. تعرفيني..

غروب: أنا ماذا ؟..أنا ماذا يا سعيد ؟.. أيها الكاتب العظيم..أنا ماذا ؟.. ولدتُ طفلةً صغيرةً.. لا أعرفُ عن الحياة شيئاً.. أحبُّ اللعب.. أحب المرح.. ودروسي.. وكبرتُ.. مع السنين.. كنت أراك في الحارةِ دائماً تحمل حقيبتك.. وتذهب إلى المسرح كل يوم.. أحببتُ فيك هذا العشق للمسرح قبل أن يتعلق قلبي بك.. وحين وافقتَ على أن أعمل معك.. كانت فرحةً عارمةً وأحسستُ أني عدت طفلةً من جديد.. كنتُ أستمتع بصرخاتك أثناء العمل.. كنت أحاول أن أقبض على دخان سيجارتك حين تنفعل.. كنت مخلصةً للعمل معك..

والدليلُ أني ما زلتُ هنا.. يا سعيد.. وأنتَ.. لسرابك.. تدهسُ بقلبك قلبي كل يوم..

سعيد: لا أريد أن أخدعكِ..

غروب: وحين نفوك.. من مدينتي.. حين نفتكَ السلطةُ القديمة.. بقيتُ هنا.. انتظرتك.. سنوات من عمري تضيع أمامي.. وأنا أنتظرك.. هنا.. ولم أهرب مع الذين هربوا أثناءَ الثورة والحرب.. لن أنسى صرخةَ أمي.. وأخوتي.. وهم يركبون القطار.. ينادونني.. غروب.. بنيتي.. تعالي.. اصعدي.. أمي تمدُ يدها لي.. وأنا.. مبتسمة.. مكاني.. لوحتُ لها بيدي مودعةً ولا أعرفُ أنّا كنا سنلتقي بعدها أم لا.. أتعرفُ لماذا ؟.. لكي أبقى أنتظرك.. " سعيد يدخن ويجلس وراء المكتب "

سراب: غروب.. صديقتي.. أردتني صديقة.. إذاً فلنكن..

غروب: صديقة ! وهل يصادقُ الذئبُ.. الدجاجة ؟..

سعيد: غروب.. ماذا تقولين ؟..

غروب: " بصوتٍ مرتفع ".. أقولُ الحقيقة.. الحقيقة.. يا سعيد.. منذ متى يحبُ الجلادُ.. جلاده ؟..

سراب: أنا لستُ منهم..

غروب: أنتِ ابنةُ جلادٍ..ابنةُ سفاح..

سعيد: غروب.. اخرسي.. " يضربها على وجهها "

غـروب: " تـتلمسُ وجهها " .. سـأخرس.. كما تريد يا سعيد.. سـأخرس.. حتى لا أقـولَ للنـاس الحقيقة.. حقيقـةَ أخـي الأكـبر الـذي لا أعـرف إن كـان مـا زال تحـت سـياطهم.. تحت الأرضِ.. أم لا..

سعيد: غروب..أرجوكِ..

غروب: سأخرس حتى لا أقول للناس ماذا حدث.. في ذلك اليوم النجس..

سعيد: غروب.. توقفي..

غروب: كان العرضُ ممتعاً.. تذكرُ أيها المخرج العظيم.. اسمعي.. يا سراب.. يا صديقتي.. " بسخرية " كان العرضُ ممتعاً.. والجماهيرُ تملأ المسرح.. والتصفيق حار.. " صوت تصفيقٍ من الكواليس.. غروب تقوم بتمثيل إيمائياً ما حدث " الجميعُ استمتع بأدائي.. حتى الذين يجلسون في الصف الأول .. انحنيتُ بتحية المسرح وذهبتُ إلى غرفتي.. في الكواليس .. وحدي.. أبدلُ ثيابي وأمسح وجهي.. وحدي.. فرحةً بما قدمت وسعيدةٌ لأن المسرحية.. نجحت.. عملك يا سعيد.. وفجأةً.. وبهدوءٍ مخيفٍ.. " تبدو خائفة ".. فتُح باب غرفتي.. ودخل عليّ حيوانٌ قذرٌ.. تعرفي من يا سراب ؟.. ابنُ

أحدهم.. طبعاً فكل شيءٍ ملكهم.. حتى لحم البشر.. ملكهم .. ارتعبت.. تقدمَ نحوي.. واللعابُ يسيل من فمه العفن .. ورائحةُ الخمر تعبقُ منه.. أرجوك.. لا تلمسني.. لكنه أبى.. ابتعد أرجوك.. بحثتُ عن شيءٍ أدافع به عن نفسي.. فسقطت على الأرض.. انقض عليَ كوحشٍ على فريستهِ الضعيفة.. دعني أرجوك.. ابتعد أيها القذر.. " كالتي تدفعه بقدميها ".. ابتعد.. ابتعد.. لا.. " يغمى عليها "..

سعيد: غروب.. أرجوكِ.. كفى.. كفى..

سراب: " تتقدمُ نحو غروب "

غروب: " تقفُ وقد نُثر شعرها وتبدو في هذيانٍ وتتقدم إلى الجمهور " نصرٌ عظيمٌ.. نصرٌ سيسجله التاريخ.. على فتاة.. " تضحك بجنونٍ "

سراب: غروب.. أنا لستُ مثلهم..

غروب: ابتعدي.. كلكم.. أنجاس.. قذرون.. ولا يمكنك أن تكوني إلا منهم.. تماماً مثلهم..

سراب: لا..لا غروب.. أنا أحب الناس.. أتألمُ معهم.. أجوع مثلهم.. وأخافُ مثلهم..

غروب: كذب.. كذب..

سراب: يمكنُ للشوكِ أن ينبت ورداً..

غروب: ذلك هو الشوك.. أما بالنسبةِ لك فكلكم أشواك.. سوف أجعلكِ تدفعين ثمن حياتي.. سأردُ الدين منك اليوم.. وما كنت لأسكتَ عن ديني..

سراب: سعيد.. قل سيئاً.. " سعيد صامت "

غروب: اصمتي.. سأحرقُ قلبكِ.. كما احترقت بناركم.. كما أحرقتِ عمري..

سعيد: غروب.. يكفي.. أنا ما زلتُ هنا.. معكِ.. وأنت لا تشعرينَ بوجودي.. ما هكذا علمتكِ حروفي.. وأنا.. علمنا المسرح كيف الإنسانُ يكون إنساناً..

غروب: إنسان.. وما فعلوهُ بي.. ماذا تسميه ؟..

سراب: سعيد.. الوضعُ صعبٌ جداً.. وعليّ المغادرة.. أنا هاربةٌ يا سعيد ويمكن أن يبحثوا عني هنا.. وخاصةً المحقق رجب.. فهو يحقدُ عليّ وعلى أبي كثيراً.. حين كان أبي في السلطة.. اعتقلهُ وعذبه.. وهو الآن يبحثُ عني.. الأفضل أن أهرب..

سعيد: تهربين !.. إلى أين ؟..

سراب: لا أعرف.. الربُ كبير.. وداعاً..

غروب: انتظري.. ليس بهذه السهو لة.. قلتِ لي المحقق رجب.. حسناً ستكونين هديتي له..

سعيد: غروب.. سأقتلكِ إذا فعلتِ..

غروب: ستقتلني ؟.. ألم تفعل هذا منذُ سنوات.. ليتكَ تفعلها حقيقةً وتريحني..

سعيد: غروب.. تعالي.. انظري إلى هذا المكان الذي رتبناهُ معاً.. تذكري ماذا قلتِ للمحقق رجب حين تعمدَ إهانتي.. قلتِ لهُ هذا المسرح لا يمكن أن يكونَ إلا لكلّ مظلوم.. لكلّ مبدعٍ.. فليكن كذلك..

غروب: هذا كلام.. مبادئٌ نظرية.. والحقيقة أقسى وأصعب من ذلك

سعيد: إذاً سوف أسجنُ معها.. سأقول لهم.. بأني حميتها.. بأني متعاملٌ معها.. " صوت الرعد ولمعان البرق "

سراب: سعيــد.. لا تفعل.. " سعيد يرفع يده..

غروب: ألهذه الدرجة أمرها يهمك.. وأنا.. وكلُ ما حدثَ لي.. ذهبَ هكذا.. غباراً في الهواء.. فلتذهبوا كلكم إلى الجحيم.. كلكم إلى الجحيم.. " يسمع من الكواليس سعلة جارشة من المحقق رجب "

رجب: أنا المحقق رجب..

سعيد: سراب.. بسرعة هناكَ غرفةٌ صغيرةٌ في الداخل ابقي فيها ولا تتحركي.. هيا بسرعة..

سراب: " تنظرُ بغروب.. وقد بدا الخوفُ عليها

سعيد: بسرعة.. هيا.. " تخرج سراب "

غروب: " تمسحُ دموعها وتهذب نفسها قليلاً ".. أيها المحقق رجب.. يمكنك الدخول.. " يدخلُ المحقق رجب مزهو اً.. يجلسُ على الكرسي أمام الطاولة يقلبُ أو راق.. يشعلُ سيجارة "

رجب: فضولي.. يقولُ لي بأن في هذا المكانِ سراً..

سعيد: في هذا المكان يكونُ كلّ شيءٍ واضحاً.. ولا وجودَ للأسرار عندنا..

رجب: قلتُ فضولي.. فضول يا أخي.. لمَ اضطربتَ هكذا يا..سعيد الخصيب..

غروب: " بلهجةٍ حادةٍ ".. نعم أيها لمحقق رجب.. في هذا المكانِ سر.. سرٌ عميقٌ.. " لمعان البرق وصوت الرعد.. سعيد يرمقها بنظرةٍ حادةٍ " في هذا المكان دفءٌ وحنانٌ.. حبٌ وإخلاص.. ونورٌ وشمس.. في هذا المكانِ رحمُ أمٍ حنونٍ أنجبت الأمل.. والورود.. في هذا المكانِ تاريخٌ وحضارةٌ.. في هذا المكانِ طهارةٌ ونقاءٌ.. وقلوبٌ محبةٌ طيبةٌ.. هذا هو السرُ في هذا

المكان أيها المحقق.. ولا أعتقدُ بأنك كنت ستكتشفهُ وحدك.. " سعيد يتنفس الصعداء.."

رجب: هذه أقبلها منكِ.. يا غروب.. لأنكِ محسوبةٌ علينا.. ولولا هذا لكانَ تصرفي معكِ مختلفاً..بالمناسبة تأكدتُ من كلامكِ .. والدك كانَ بارزاً في الثورة.. أنتِ منّا.. وفينا..

غروب: أنا ملكُ نفسي.. وأتبعُ نفسي.. ولا أؤمن إلا بنفسي..

رجب: كلامٌ جديدٌ ومختلف.. أعتقدُ أن سعيد الخصيب قد زرع فيكِ أفكاره.. كما في الماضي.. حتى وهو خارج البلاد..

سعيد: من واجبي.. أن أجعلَ الشعبَ يبصر طريقه الصحيح..

رجب: ومن واجبي أنا أيضاً أن أقرأَ لك هذا.. " يقلب أو راقه.. يقرأ " ها.. حسناً.. سعيد الخصيب.. من عائلةِ الخصيب المعروفةِ في هذه المدينة منذُ زمنٍ طويلٍ.. اعتقلَ ثلاثَ مراتٍ في عهد السلطة القديمة نتيجةً لقيامهِ بتوزيع منشورات وكتابتهِ لعدة مقالاتٍ تدعو إلى التحرر وتذم ممارسةِ السلطة.. لهُ نشاطاتٌ كثيرةُ وندوات.. وكتابات.. والهدف منها هو حشد الجيل في جبهةٍ واحدةٍ تعمل لنشرِ أفكاره وقلب النظام الاتجاه السياسي: حيادي..

سعيد: أنتَ قلتها.. الاتجاه السياسي حيادي..يعني كل ما ذكرتهُ باطلٌ.. وملفقٌ ضدي.. كل ما كنتُ أقوم به هو كتابةَ ما أنا مقتنعٌ به.. أنا.. ولم أجبر أحداً على الالتفافِ حولي..

رجب: ولكنهم التفوا حولكَ.. وآمنوا بما تكتب..

سعيد: آمنوا بالحقيقة..

غروب: آمنوا.. بالصدقِ.. وأنا كذلك..

رجب: نتابعُ التقرير.. نُفي خارجَ البلاد نتيجةً لاتصاله بجهاتٍ خارجيةٍ معاديةٍ..

سعيد: هذا كذب.. وتلفيقٌ وابتزاز.. نفيتُ من مدينتي.. خمس سنواتٍ لأني رفضتُ أن أكتبَ لهم.. وأكذب على الناس.. كما يكذبون.. لأني أردتُ أن يبقى قلمي صافياً وأو راقي بيضاءَ طاهرةً لا دنسَ فيها..

رجب: كيف تقبلُ أن تكون على الهامش ؟..

سعيد: ومن قالَ لكَ أني على الهامش.. أنا موجودٌ.. قلمي موجودٌ.. وكلماتي.. أنا موجودٌ مع الناس.. مع دمعهم.. وفقرهم.. وخبزهم.. أنا موجود..

رجب: أقصد أن تعيشَ دون اتجاه.. على الحياد.. و لك كل هذا التأثير على الناس.. والشهرة

سعيد: هكذا قررتُ أن أعيش.. وهكذا سأبقى..

رجب: الآن زالت السلطة القديمة.. ونحنُ هنا الآن في السلطة..

سعيد: بماذا يعنيني هذا ؟.. سأبقى أنا سعيد الخصيب.. مع السلطة القديمةِ أو الجديدة..

رجب: لكن هذا مرفوضٌ عندنا..

سعيد: مرفوض.. !

رجب: طبعاً مرفوض.. إما أن تكونَ معنا.. أو ضدنا.. ولا ثالثَ لهما.. تسمع.. !

سعيد: اسمع أيها المحقق رجب.. نُفيتُ عن مدينتي خمسَ سنواتٍ.. وكم ندمتُ على ذلك.. تعرفُ لماذا ؟.. لأنه ما كان ينبغي لي أن أتركَ مدينتي.. وأهرب.. كان من المفروض أن أبقى فيها هنا.. حتى لو سجنت.. حتى لو أعُدمت.. المهمُ أن أبقى هنا.. شجرةً.. لا تحركها الريح.. والآن لن أكرر خطأي مرةً أخرى.. ومهما حدث سأبقى أنا كما أنا.. سعيد الخصيب

رجب: إذاً الأمرُ هكذا.. عدت لإثارةِ المشاكل من جديد.. ولكن هذه المرة معنا..

غروب: عادَ.. ليعيد الحياةَ إلى هذا المكان الذي تهدم من أجل كرسيٍ أصم.. وأنا معه.. " سعيد ينظرُ بغروب "

سعيد: عدتُ لأكتبَ من جديد.. لأكتبَ للناس.. ولكن هذه المرة.. من هنا.. من مدينتي.. سجني.. وحبلُ مشنقي.. لا من الغربة.. والمنفى..

رجب: إذاً هو التحدي..

سعيد: متى ستفهمون ؟.. أنا لا أتحدى أحداً.. لي حياتي ولكم حياتكم.. لي هذا المكان.. وهذه الأضواء ولكم قصوركم.. دعونا.. نعيش كما نريد..

غروب: أيها المحقق.. أعتقدُ أن الجدلَ بيننا لن ينتهي.. لا يمكنُ لكم أن تفهمونا.. الحياة أجملُ بكثيرٍ من كرسيٍ وتاجٍ.. والأفضلُ لك أن تغادر..

رجب: " ينحني لها ".. أخدمكِ.. فأنتِ من عظم الرأس.. ولكن بقيَ أمرٌ أخير.. وهو بالتحديد سببُ وجودي هنا..

غروب: إذاً قل واختصر..

رجب: حسناً.. بعدَ غدٍ هو موعدُ افتتاحِ الجريدةِ الناطقة باسم سلطةِ الثورة.. مقالةٌ فاخرةٌ في الصفحةِ الأولى.. تطلبُ فيها من الشعبِ التعاون معنا.. والطاعة.. وتهدئةِ الأمور.. الأوامر أتت من فوق.. من أعلى المستويات وبالتحديد لكَ يا سعيد.. فأنت الكاتب الكبير.. ومخالفةُ الأمر يعني التمرد.. التمرد.. وداعاً.. " يقفُ..

قبل أن يخرج من المسرح ".. فضولي.. فضولي.. " يتلفتُ حوله بعينيه ".. لقاؤنا قريبٌ يا أستاذ سعيد.. " يخرج "

سعيد: " ينظرُ بغروب ".. لمَ فعلتِ هذا ؟..

غروب: ماذا ستفعل أنت الآن ؟..

سعيد: لن أنسى هذا ما حييت.. أنتِ رائعة..

غروب: ولن تستجيبَ لهم.. أليسَ كذلك ؟..

سعيد: ما توقعتُ منكِ غيرَ الذي كان.. فهذه غروبٌ الإنسانة التي عرفت أشكركِ

غروب: أنا معك.. سأبقى معك.. أنا لك.. وأنت لمن تكون.. لا يهم.. "سراب تخرجُ من الكواليس.. سعيد وغروب ينظران بها "

سراب: أشكركِ.. فعلاً.. ليس كلُ من يلبس ثوبَ إنسانٍ.. إنسان.. قد لا أستحقُ الحياة.. لكنك.. حميتني.. أنتِ ملاكٌ بثوبِ إنسان..

غروب: " لسعيد ".. هناكَ مشكلة.. لا أعرفُ كيف سنتعامل معها.. إنهم جادون يا سعيد.. وأنا أخشى عليك..

سعيد: علينا أن نفكرَ في سراب أو لاً.. إنها في خطرٍ الآن..

سراب: دعكَ مني.. أعرفُ كيف سأهرب.. سأتدبر أمري.. أما أنت فأرجوكَ لا تنصاع لطلبهم.. " غروب تنظرُ بسراب ".. لا..

ليس لأني ملاحقةٌ من قبلهم.. لا يا غروب بل حتى يبقى قلمُ سعيدٍ طاهراً.. كما أعرفه.. كما تعرفينه.

غروب: حقاً.. صحيح.. اسمعي يا سراب.. لا يمكنُ لي أن أنسى ما أصابني منكم.. تلك أيامٌ سوداءُ عشتها.. مطبوعة في قلبي.. لكنك لستِ عدوتي.. أنت..

سعيد: يمكن أن تكونا صديقتين.. كم أنا محظوظٌ بكما.

غروب: دعها للزمن.. الزمن وحدهُ يغيرُ كل شيء..

سراب: والآن علي المغادرة بسرعة.. أعرفُ إلى أين أذهب.. سأعودُ إن شاء الله.. وسوف أسمعُ أخباركَ يا سعيد وأعمالكَ مع غروب كما كنتُ سابقاً.." تحاول أن تخلع المعطف الذي أعطتها إياه غروب "

غروب: لا.. هذا لكِ.. ذكرى مني على الأقل..

سراب: شكراً.. " تحاول أن تلتفتَ للمغادرة ".

سعيد: سراب.. دعيني أراك.. فقط.. أراكِ..

سراب: دعها للزمن.. سعيد.. غروبٌ ملاكٌ حقيقي.. لا تدعها تصعدُ السماءَ لوحدها. " تنظرُ بهما.. بحزن " الوداع.. الله يحميكم.. " تغادر المسرح.. متخفية سعيد كالذي يريد أن يتبعها "

غروب: سعيد.. تعالَ نصلي من أجلها..

سعيد: إنها بحاجةٍ الآن إلى الصلاة.. ربنا يحميها.. " ينسحبُ باتجاه طاولته.. يمسك ورقةً وقلماً ويشرعُ بالكتابة.. "

سعيد: سأكتب..

غروب: لا.. يا سعيد.. لا تفعل.. لا تدنس صفحاتك البيضاء.. بما يريدون.. بما يكذبون..

سعيد: حينَ يصبحُ الحب أو لاً.. " دونَ أن ينظر بها.. " " تعتيم.. صوت خارجي "

صوت: حينَ يصبحُ الحب أو لاً.. يمكنُ ألا تغيب الشمسُ حينها أبداً لا يرحلُ الربيع حينها أبداً.. ولا يبكي الحمامُ.. حينها أبداً.. " تعودُ الإضاءة على المسرح.. نلاحظُ أن رجب يقفُ مزهو اً.. سعيد يلملم بعض أو راقه وأقلامه وغروب على طرف المسرح وتبدو في حالةٍ من الحزن والانكسار "

رجب: الفرصة ما زالت أمامك لتغيرَ رأيك.. هذا العنادُ لن يفيد بشيءٍ.. " سعيد لا يكترث لكلام رجب ويتابع عمله.. " يمكنُ أن تنصحيه يا غروب..

غروب: سعيد يعرفُ ما يفعل وأنا أثقُ به أيها المحقق.. ولا أعتقد بأن قرارهُ غير صحيح..

رجب: أنت التي تقولين هذا الكلام !..

غروب: أنا.. والكثيرين.. يمكنُ لكم أن تسجنوا جسداً.. لكن لا يمكنُ لكم أن تأسروا قلماً حياً ينبضُ بالحروف..

سعيد: أعتقدُ أني انتهيت..

غروب: سعيـــــد..

سعيد: عزيزتي.. لن أعيدَ أخطاءَ الماضي.. سأبقى أكتبُ وأكتب وأنثرُ الحروف وروداً بيضاءَ.. حمراءَ في الهواء.. سأبقى أكتبُ للناس.. من سجني.. من مدينتي هذه.. لا من المنفى والغربةِ.. سعيدٌ لن يموت.. وإن ماتَ جسده..

رجب: تعرفُ ماذا ينتظرك..

سعيد: أعرف..

رجب: السجنُ.. والتعذيبُ..

سعيد: الحياة..

غروب: الأمل..

سعيد: أنا جاهـــز.. " صوتُ الرعد ولمعان البرق.. نسمعُ صرخات وفرحة وضحكات أطفال من الخارج.. تفتح غروب النافذة.. فتتعالى الأصوات.. غروب تبدو فرحة "

غروب: سعيد.. النهـــر.. النهرُ يجري من جديد

سعيد: النهر.. يجري.. من جديد.. " متأملاً.. حالماً.. " شكراً لكِ غروب..

غروب: أنا ؟!..

سعيد: أنـتِ..

غروب: كنتُ أعرفُ بأنه سيجري هذا العام.. لم أيأس منهُ أبداً..

سعيد: شـكراً لـكِ غـروب.. " يخاطـبُ رجـب ".. تفـضل.. " ينـسحبُ سعيد ورجب.. غروب تنادي.. "

غروب: سعيـد.. " سعيد يلتفتُ بهدوءٍ نحوها ".. سأنتظرك..

سعيد: خمسُ سنواتٍ أخرى ؟..

غروب: وربمـا أكثـر.. متـى عـُدت سـتجدني هنـا.. بـنفس الموعـد.. الرابعـة مـساءً ونـشربُ القهـوة معـاً.. " يهـزُ سـعيدٌ رأسـه.. ويلتفتُ ثانيةً " و.. سـراب ؟..

سعيد: إنسانة.. " يغـادر سعيدٌ المكـان يقـوده رجـب.. غـروب وحـدها على المسرح.. ما والت تنظرُ بهما.. لحظة وتتقدم على مقدمةِ المسرح.. الإضاءة محصورةٌ عليها.. غـروب تـؤدي المشهد مـن جديـد.. يتـدخل معهـا صـوت يـأتي مـن الكـواليس.. لحظـات قصيرة..

إظلام

صوت:

ها أنا أعيشُ من جديد.. وصوتُ المطر أنغامُ الحياة.. والنهرُ يجري.. للحيــاة.. ها أنا أكتبُ من جديد.. أكادُ أسمعُ صوت الناس وهم يبنون المدينة من جديد.. ويقرؤونَ كلماتي.. من قالَ أني غريبٌ.. من قالَ أني أسيرٌ وكلماتي مقيدةٌ.. حتى وأنا في سجني..

التوقيع / سعيد الخصيب
سجن المدينةِ المركزي

تمت بعون الله

دعيني أقبلُ هذا الوجه

فأنا لا أؤمن بعد اللّه إلا به

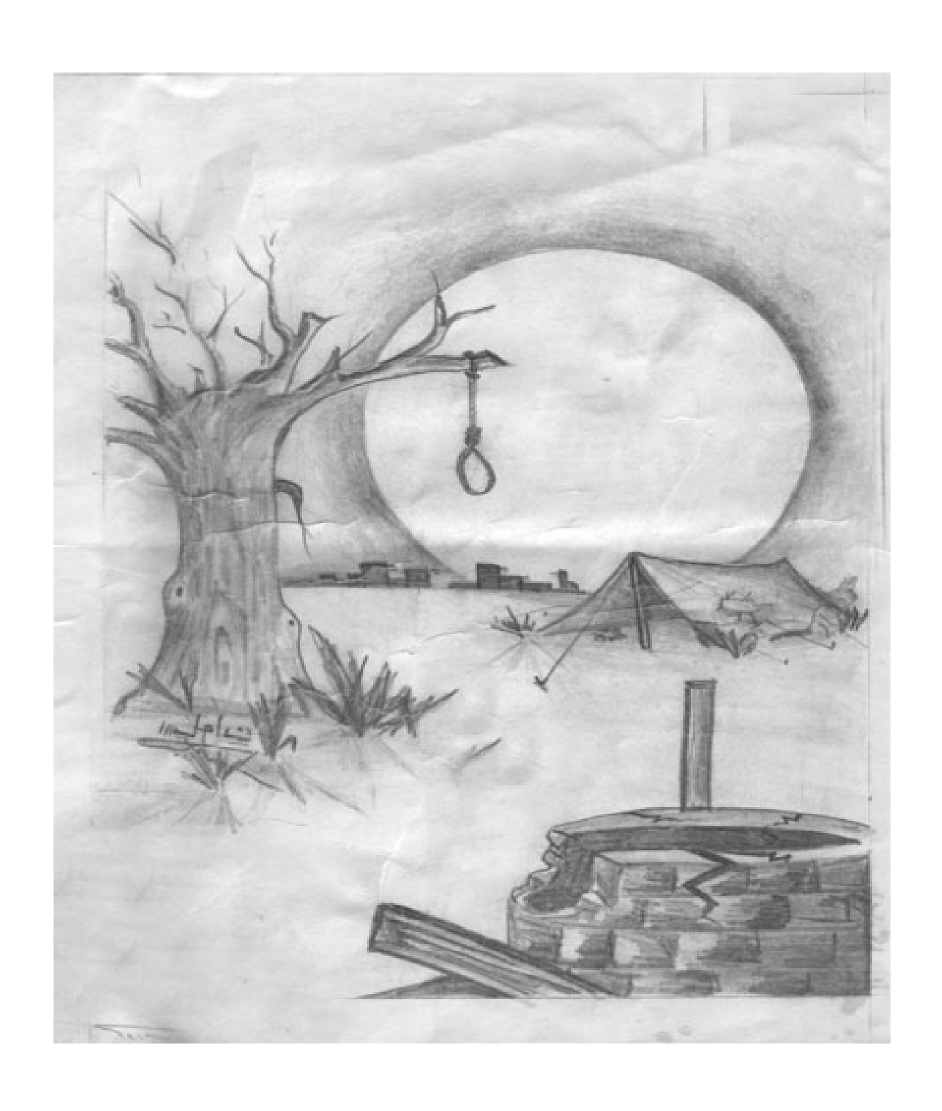
ولا أقرا بعد الكتاب إلا عينيكِ

فاستمري يا صغيرتي.. استمري

تخيطين رداءً..

يستر عورتنا الأزلية...

مسـرحية
الخيمـة



شخصيات المسرحية

الرجل العجوز

الشاب

توفيق

هند

صابر

الآغا سليم

المفتي تاج الدين

الفتاة المشوهة

مرأة

فلاحون

المهرج روكي

فرقة رقص مالاوية

المكان: غابة

تمهيـد المشـهد الأول

((مكـان منبسـط في الغابـة نلاحـظ عـدد مـن الأشـجار المترامية هنا وهناك وتظهر لنا في زاوية المسرح خيمة صغيرة أمامها عدد من الأشجار القديمة. كرسي خشبي وإبريق شاي محترق وموقد حطب الإضاءة متقطعة وقوية جدا بحيث يصعب تمييز المكان صخب وضوضاء وأصوات عالية ومتداخلة تسمع من الكواليس يصعب فهمها يدخل مهرج صغير على خشبة المسرح بوثبات طويلة ويبدأ بتنفيذ عدد من الحركات بجسده دوران عقارب الساعة حركة الرأس عكس عقارب الساعة بعد فترة من الاستعراض المهرج إلى الجمهور بلهجة خطابية))

المهرج: مرحبا يا أحبة مرحبا يا أعزائي أنتم تعرفوني جيداً وأنا أعرفكم جيداً جيداً أنا المهرج الصغير والولد الشقي روكي هب هب.. " يقفز ويتشقلب يسقط على مؤخرته ويشعر بالألم " آه آه آه كم هو مؤلم آه آه لم أسقط في

حياتي أبداً لقد نسيت لماذا أنا هنا.. " يعود إلى اللهجة الخطابية " عذراً منكم عذراً شديداً سيداتي وسادتي.. " يعود إلى حركة الرأس " الزمن.. الزمن يركض إلينا الزمن يحمل في أيامه حكايتنا ويخفي في ساعاته خبايانا حكايتنا يا سادة آغا وآغا وقرية وقرية وتوفيق وهند يا حرام وصار يا سلام ورجال من هنا ورجال من هناك هل نبدأ الحكاية ؟.. نعم.. فلنبدأ الحكاية.. " يخرج من المسرح بوثبات طويلة.. إظلام "

المشـهد الأول

" تعتيم عام صوت ضحكة رجل طويلة تنتهي بالبكاء.. لحظة قصيرة يظهر ضوء مصباح زيت يخرج من الخيمة وتكون إضاءة المصباح الإضاءة الوحيدة على المسرح وتستمر ضحكة الرجل الطويلة.. لحظات قليلة ونسمع صوت الرجل من داخل الخيمة "

صوت الرجل: لماذا أنت معي؟.. أعتقد يا عزيزي أن مكانك ينبغي أن يكون هناك.. معها أما أنك اخترت أن تبقي معي فهذا لم يكن شأني ولا شأنك.. ستبقى أنت العار الوحيد الذي لطخ هذا التراب والتاريخ الأبيض سينزف حروفه على هذا التراب ووجه الفتاة الجميل سيحكي لنا قصة البطولة.. " يضحك بهستريا " أما أنت يا صاحبي.. " ببكائية " كم شقيت حتى كنا معاً ولكن سامحني سأدفنك هنا داخل هذه الخيمة.. تحت هذا التراب..

" يعود للضحك ويبدأ بأغنية حزينة.. بعد فترة يدخل شاب يتأمل بتمعن يقترب من الخيمة ويحاول أن يسرق النظر إلى داخلها "

الرجل العجوز: من هناك ؟

الشاب: " يقفز إلى الوراء فزعاً " أ.. أ.. أنا.. أنا يا سيدي

صوت الرجل: جئت لأراك.. هل تتفضل علي وتخرج لكي أتحدث معك.. صمت.. ماذا قلت يا سيدي؟.. كنت أقول.. " يخرج من الخيمة رجل كبير السن وقد طالت لحيته كثيراً يلبس معطف قديم وخشن وقبعة على رأسه الشاب مرتبكاً وهو يتفحص الرجل مندهشاً "

الشاب: مـ..مر.. مرحباً يا سيدي

الرجل العجوز: ماذا تريد ؟

الشاب: كنت أمر من هنا.. وسمعتك تتكلم.. وتصرخ

الرجل العجوز: قلت ماذا تريد ؟

الشاب: وبعدها بكيت..

الرجل العجوز: بدأت تزعجني أيها الولد الصغير.. منذ مدة طويلة وأنا أسكن هذه الخيمة بهدوء ولم يزعجني أحد

فلا تجعلني أفقد صوابي معك.. والآن تكلم لماذا أنت هنا ؟

الشاب: هل هذه الخيمة البالية تمنحك الهدوء والأمان سيما وأنت تسكن هذه الغابة والعواء يملأ المكان خوفاً ورعباً

الرجل العجوز: هذه الخيمة هي.. لماذا أشعر بأني غبي عندما أفكر بالرد على أسئلتك ؟

الشاب: يقولون في القرية أنك فعلت إثماً كبيراً وبعدها هربت إلى هذا المكان.

الرجل العجوز: دعهم يقولون ما يشاءون عني..

الشاب: ألا تدافع عن نفسك ؟ !

الرجل العجوز: أعتقد بأنهم بحاجة لمن يدافع عنهم

الشاب: لماذا لا تعود إلى القرية ؟.. أليس أفضل لك من هذا المكان ؟

الرجل العجوز: ولمن تريدني أن أعود ؟

الشاب: إلى أهلك.. بيتك.. أعتقد بأنه يجب أن يكون لك بيت تعود إليه

الرجل العجوز: بيتي.. " يمشي بحزن ثم يلتفت إلى الشاب ".. ألم تنتهي من حماقتك.. وتخبرني من أنت وماذا تريد مني.. ولمَ أفسدت علي خلوتي.. و..

الشاب: وبكائك..

الرجل العجوز: تعال ننهي هذه المهزلة بيننا

الشاب: حسناً.. ما هي حكايتك.. أقصد لماذا أنت هنا

الرجل العجوز: الأمر لا يعنيك

الشاب: لماذا اعتزلت الناس

الرجل العجوز: هذه حياتي وأنا حر بها

الشاب: " يتابع بتهجم ".. ولكنهم يقولون غير ذلك

الرجل العجوز: لا يهم

الشاب: بعضهم يقول أنك سرقت متجراً فحكموا عليك بالنفي

الرجل العجوز: كذب

الشاب: والبعض الآخر يتهمك بأنك اعتديت على فتاة أصغر منك وهتكت عرضها فضربوك ثم أخرجوك من القرية ذليلاً.. حقيراً

الرجل العجوز: كذب.. كذب

الشاب: وفريق ثالث يقول ٠

الرجل العجوز: " مقاطعاً وبانفعال شديد " كف عن هذا.. من أنت.. من أنت تكلم

الشاب: لماذا أنت هنا.. أخبرني.. أرجوك.. أرجوك تكلم.. " يقترب منه "

الرجل العجوز: " كالذي ينفر منه ".. اذهب من هنا

الشاب: لقد تعبت حتى عثرت عليك والآن تريدني أن أذهب.. لا.. لن أفعل.. حتى أعرف حكايتك كاملة أرجوك

الرجل العجوز: " كالخائف " لا.. لا.. لا أريد أن أتحدث دعني.. دعني لخيمتي.. دعني لخاتم الذهب.. دعني أشم عطرها.. " يجثو على الأرض ويخفض رأسه " دعني لا أرى غيرها.. دعني.. دعني " ينظر بخوف " لا أريد أن أفتش صفحات الماضي السوداء.. أخاف.. نعم أخاف.. نعم أخاف وجوههم تملأ المكان.. وجوههم القبيحة تطاردني حتى في خيمتي دعني وأرحل.. ارحل

الشاب: " ينحني إلى الرجل ويضمه بحنان ".. لا تخف يا أبتي

الرجل العجوز: " بدهشة " أبتي... لكني لم أتزوج كنت سأتزوج لكنهم.. " يصمت ويغرق في البكاء "

الشاب: اسمح لي أن أناديك أبي.. أبي..

الرجل العجوز: بني.. لماذا أنا.. لماذا جئت إلي من ذلك الزمن الذي طويته في صفحات الماضي لماذا تحاول أن تفتش في مهزلة الحياة.. بني أخبرني من تكون لكي أقبل أن أكون أبوك

الشاب: أجل.. سأخبرك.. لكن في البداية أريد أن أعرف حكايتك كاملة وبعدها أعدك أن تعرف من أكون.. اطمئن يا أبي.. " يمد يده إلى الرجل ويرفعه يربت على كتف الشاب "

الرجل العجوز: حسناً لقد غلبتني يا بني رغم أني طويت هذا الموضوع تماماً.. إلا أنني سأخبرك القصة كاملة آه يا بني رغم هذه السنين الطويلة التي مرت علي إلا أنني مازلت أعيش فجيعتي.. كأنها حدثت في الأمس تماماً

الشاب: ولهذا كنت تبكي

الرجل العجوز: " يهز رأسه بالقبول يدخل الخيمة ويُخرج منها كرسي خشبي يدوي الصنع " كانت فتاة جميلة جدا.. " يضع كرسي على الأرض ".. كانت

الأجمل بين مثيلاتها من النساء وكانت فقيرة جداً.. " يشعل لفافة تبغ ".. أحببتها منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها.. بدلت حياتي كاملة.. كنت أراها نجمة في السماء وشمساً في حضن الليل بماذا أصف لك.. فعلاً.. قتلوها.. قتلوها بل أنا الذي قتلتها.. قتلتها.. نعم قتلتها قتلتها.. "ينفعل ويجثي على الأرض يقترب منه الشاب "

الشاب: أكمل أرجوك حاول أن تتمالك نفسك ها أرجوك

الرجل العجوز: أحبتني كما أحببتها... أصبحنا أجمل عاشقين في هذه الدنيا.. كنا لا نفارق بعضنا أبداً وكان أهل القرية يعلمون بحبنا ويعرفون أني سأخطبها من أهلها حالما تتحسن الظروف " يمشي باتجاه الخيمة " وذات يوم حملت لها مفاجئة.. مفاجئة جميلة.. " ينظر جهة الكواليس يدخل من يمين المسرح الشاب توفيق يمثل الرجل العجوز أثناء شبابه ومن اليسار تدخل فتاة جميلة يتقابلان ويدوران فرحاً وبهجة "

المشـهد الثاني

توفيق: حبيبتي اشتقت إليك كثيراً.. كثيراً

هند: وأنا إشتقت إليك كثيراً..كثيراً.. كثيراً

توفيق: ها.. والآن حاولي أن تعرفي ماذا جلبت لك معي

هند: هـا.. هـا.. مـاذا.. عرفـت المنـديل الحريـري الـذي وعدتني بهِ

توفيق: لا.. " يهز يده بالنفي "

هند: إذاً فالقبعة الحمراء

توفيق: " يهز رأسه بالنفي "

هند: إذاً مـاذا.. بـالله عليـك أخبرنـي، ولا تجعلـني أذوب شوقاً.. ها.. قل

توفيق: حـسناً.. لقـد أحـضرت لـكِ هـذا.. " يخـرج مـن جيبـه خاتم ذهب "

هند: " تضحك.. تسرع نحو توفيق وتمسك بيده ".. وأخيراً.. أخيراً حصلت على ثمن الخاتم وصار بإمكاننا أن نعلن للناس خطوبتنا

توفيق: ونتزوج.. وننجب أطفالاً كثر.. ينادوني يا أبي وينادونك يا أمي.. ونلاعبهم ويلاعبونا ويشدونا من شعرنا وثيابنا.. و.. و.. سنكون أسعد اثنين في هذا العالم والجميع يتمنى لو كانوا مثلنا

هند: آه.. لقد انتظرنا طويلاً

الرجل العجوز: " وهو يقترب من توفيق ".. كانت فرحتها لا توصف.. " يأخذ الخاتم من الشاب توفيق ثم يقترب من هند ويقودها من يدها نحو توفيق ويخرجان معاً من المسرح ".. وكانت لي الأمل الوحيد في هذه الحياة أعيش من أجلها وتعيش لأجلي

الشاب: واضح أنك كنت تحبها

الرجل العجوز: لم يكن حب.. بل كان تقديس.. تسمع كان تقديس.. كان جنون الحب

الشاب: وبعدها ماذا حدث

" ينسحب الرجل العجوز والشاب إلى أقصى يمين ويسار المسرح ووجوههم باتجاه الجمهور.. ضوء المصباح مازال يخرج من الخيمة.. ويمكن أن تتغير خلفية المسرح ويبقى خيال الخيمة ظاهراً.. يدخل فلاحان "

فلاح ١: بدأت الأمور تسوء في هذه القرية

فلاح ٢: نعم.. الجميع هنا مصابون باليأس.. والحياة معطلة تماماً.. والفقر ينتشر في كل البيوت

فلاح ١: برأيك هل ستحل مشكلة البئر هذه السنة.. الماء قليل.. والزرع يحتاج إلى سقاية بعد أن حبست السماء عنا المطر هذه المدة

فلاح ٢: اللـه يستر، فعلاً ستكون كارثة كبيرة إذا ما بقيت الأمور هكذا

فلاح ١: الله يستر.. تعال " يخرجان معاً ".. اللّه يستر

الرجل العجوز: " يقف مخاطباً الجمهور " في قرية ما.. في زمان ما.. عاش قوم من البسطاء، فلاحون يزرعون الأرض وينتظرون الثمر

الشاب: لا يملكون سوى المحبة والنقاء

الرجل العجوز: والقلوب الطيبة.. والدموع

الشاب: " نحو الرجل العجوز " وكان من أهل هذه القرية.. شاب.. كله حب وسعادة.. وأمل.. اسمه توفيق

الرجل العجوز: والفقر حال كل الناس وحالي

" مباشرةً تدخل امرأة مع طفلها الرضيع "

المرأة: أرجوكم طفلي.. هل يسمعني أحد إنه يموت.. " تجلس وسط المسرح وتحاول أن ترضعه " يا ربي ماذا أفعل.. حتى الحليب جف من صدري والولد بحاجة إلى الغذاء يا اللّه.. " تخرج "

الشاب: " للجمهور ".. والموت كان يسرق البراعم قبل أن تنضج " تدخل المرأة نفسها وقد اتشحت بالسواد وتحمل طفلها الميت بيدها.. الشاب يمثل إيمائياً طقس جنازة.. كأنه يحمل النعش على كتفه مع المرأة "

الرجل العجوز: على مقربة من القرية وبالقرب من القرية المجاورة كان هناك بئر ماء " هنا يعود الشاب وهو يجر معه خلفية قماشية مستطيلة الشكل مرسوم عليها بئر ماء وتصبح هذه اللوحة خلفية للمسرحية ".. تشرب منه القريتين وتروى منه الزر وع " الشاب

يمثـل لنـا إيمائيـاً شـرب المـاء والـسقاية " فتتبعـث الحياة في كل شيء..

الشاب: " بدهشة".. أسمع أصواتاً تقترب نحونا

الرجل العجوز: أتعلم من أين آتية

الشاب: طبعاً..

المشـهد الثالث

" يدخل صابر ومجموعة من الفلاحين.. الضجيج يعم المكان "

صابر: اهـدؤوا.. اهـدؤوا.. دعونـا نبحـث هـذه المـشكلة بعقلانية.. ونستمع لما يقوله الآغا سليم.. اهـدؤوا مـن فضلكم

فلاح ١: الوضع صعب يا رجل

فلاح ٢: الزرع يصفر.. والموسم هذا العام في أسوء حالاته

فلاح ٣: رحمتك يا رب.. ألطف بنا يا عليم

صابر: ها.. لقد حضر الآغا سليم ومعه شيخنا تاج الـدين.." يـدخل الآغـا سـليم والمفـتي تـاج الـدين، الآغـا سـليم يبـدو عليـه الحـيرة والانزعـاج "..أهـلاً يـا آغـا.. كنـا نتناقش حول مشكلة المياه في القرية فالأمور كمـا تعلم أصبحت حرجة جداً.." الآغـا سـليم لا يبـدي أي تصرف "

المفتي: يا جماعة.. يا جماعة.. لا تقنطوا من رحمة الله.. كل مشكلة ولها حل إن شاء الله، الآغا سليم يدرس الموضوع من كل الجوانب ويحاول أن يجد حلاً لهذه المشكلة مع الآغا تحسين آغا القرية المجاورة مهما كان الثمن

الآغا سليم: ذلك الآغا المتعجرف بدأ يفقدني صوابي وحكمتي وأنا أعتقد بأن الحل الوحيد الذي ينفع معه هو القوة واسترجاع البئر بالقوة وجعله يندم على حماقته معنا..

صابر: أنت تعلن الحرب عليه إذاً

فلاح٣: سترك يا رب

المفتي: يا آغا.. الله يدعونا إلى التريث وعدم الاستعجال وكل الله وسوف تفلح بإذن الله

الآغا سليم: لقد استخدمنا معه كل الوسائل وبعثنا إليه عدة وفود لنتباحث معه دون جدوى وأصر على سرقة مياه البئر لقريته وحدها فماذا تريدني أن أفعل بعد كل هذا، أصمت، وأنا أرى أهل قريتي يموتون جوعاً وعطشاً، والموسم يصفر، إذاً الحل هو

كسر أنفه إذلاله فقط.. " يخرج من الباب الآخر غاضباً "

المفتي: لا حول ولا قوة إلا باللّه.." يكررها وهو يلحق الآغا سليم " ((الفلاحون يخرجون من الجانب الآخر ويبدو عليهم الضجر وضيق الحال، تبقى شخصية صابر وحيدة على المسرح؛ صابر شخصية شابة فيه شعور بالثقة والصلابة ولا تخلو نظراته من الخبث وحدة الذكاء، صابر متجمدا مكانه كأنه تمثال يقترب العجوز منه ويحركه))

الرجل العجوز: صابر هذا رجل الآغا الأول ، كان ماكرا لدرجة أنه كان يتصرف وحده، وأحيانا كثيرة من وراء ظهر الآغا

الشاب: " يقترب من صابر أيضا ".. فيه شيء من الذكاء

الرجل العجوز: والحقد.. والحسد.. " يقود صابر إلى الخارج "

الشاب: وأنت.. أين كنت في هذه الظروف..

المشـهد الرابع

" الرجل العجوز ينظر جهة الكواليس، مباشرةً تدخل هند ببهجة وتختبئ يتبعها توفيق "

توفيق: سأجدك حتماً، فأنت لا تستطيعين الاختباء أكثر.." يبحث عنها ".. ها.. لقد وجدتك أيتها القطة الهاربة مني.. " هند تضحك ببهجة "

هند: لقد تعبت كثيراً.. فلنكف عن اللعب الآن، تعال واجلس إلى جانبي، وحدثني عما يجري في القرية

توفيق: وما لنا وما يحدث في القرية

هند: يقولون أن رجال الآغا سليم سوف يقومون بغارة على قرية الآغا تحسين

توفيق: هذا الكلام لا علاقة لنا به فليحدث ما يحدث المهم بأننا معاً.. ونلتقي ونلعب ونمرح.." يحاول أن يداعبها فتهرب منها بخفة ودلال، فجأة تتسارع الموسيقى وتتغير الإضاءة على المسرح. صوت صخب

يعم المكان. هنا نجد توفيق مع هند يفزعون ويهربون كلاً من طرف مباشرة يدخل ٦ أشخاص ٣ من كل طرف يحملون العصي الأشخاص يجسدون لنا إيمائياً... جو قتال برقصة تعبيرية منتظمة الإيقاع نجد الشاب والرجل العجوز يتحدون مع جو هذه المعركة... وبعد قليل... يسمع من الكواليس صرخة فتاة قوية يتوقف أثرها القتال لبرهة قصيرة.. يقف خلالها الراقصون بحالة اندهاش وبحث بعدها يعود القتال بنفس الرقصة بعد فترة "

الرجل العجوز: هكذا آل الخلاف بين القريتين. " نجد الراقصون قد أصبحوا تماثيلاً جامدة على خشبة المسرح بتشكيل غير منتظم ".. وهكذا كان حال الأيام المقبلة غارات من هنا وغارات من هناك.

الشاب: " يخرج من خلف أحد التماثيل " أصبح الحال لا يطاق كأنه الجحيم

الرجل العجوز: بل هو الجحيم ذاته.. نساءٌ ترملنَ وأطفالٌ يتموا.. والمنتصر لا أحد والخاسر وحيد في هذا الناس البسطاء فقط..

المشـهد الخامس

يخرج الراقصون من المسرح بعشوائية وكل واحد منهم يظهر عليه علامات الهزيمة والتعب تدخل من يمين المسرح فتاة تبدو مشوهة الوجه تسحب قطعة قماش كبيرة وحبال تأخذ زاوية من المسرح وتجلس فيها وتبدأ بخياطة القطعة القماشية دون أن يتصرف العجوز والشاب نحوها بأي فعل والأفضل بالذات أن تكون هذه الشخصية في مستوى أعلى من خشبة المسرح وأن تكون الإضاءة عليها ضعيفة جداً يدخل الآغا سليم والمفتي وصابر من يسار المسرح بحالة من الحيرة بينما ينسحب الرجل العجوز والشاب نحو مقدمة الخيمة ويأخذان وضعية المتفرج في الصالة

المفتي: ها هي القوة لن تجدي نفعاً والوضع بيننا يزداد تعقيداً والله يعلم عاقبتها

الآغا سليم: لن أتراجع ولن أضعف أمام هذا الطاغية دخلت المعركة ولن أخرج منها إلا منتصراً

المفتي: إن شاء الله.. إن شاء الله..النصر من عند الله يؤتيه لمن يشاء سبحانه (نلاحظ أن صابر منعزلٌ عنهما كأنه يضمر شيئاً)

الآغا سليم: ما رأيك يا صابر وكأن الأمر لا يعنيك وأنك لست من أهل هذه القرية

صابر: بل الأمر يعنيني كثيراً يا سيدي وهو يقلقني حتى في أحلامي

الآغا سليم: إذاً كيف تقرأ الأمور

صابر: أنت الأجدر على قراءتها يا آغا

الآغا سليم: أنا أسألك أنت لماذا تشعر بأنك تريد أن تقول شيئاً ولا تفعل

صابر: في الحقيقة عندي ما أقوله ولكن في البداية علي أن أطرحه على الشيخ تاج الدين ((الشيخ تاج الدين يقترب وقد بدا عليه نوعٌ من الزهو))

المفتي: أجل والله يعينني على الخير والصواب

صابر: ((للآغا)) هل يوافق سيدي على ذلك

الآغا سليم: نعم تكلم

صابر: حسناً.. هل هناك مانع من الناحية الدينية على تزاوج أناس من القريتين ونحن في هذا العداء المستفحل بيننا

الآغا سليم: ((بغضب وانفعال)) ماذا تقول يا أحمق

صابر: لا يا آغا هو تسائل فقط.. فقط.. وأنا أسحبه بس.. بس

الآغا سليم: ((يهدأ قليلاً)) ما رأيك يا شيخ بما سمعت

المفتي: من الناحية الدينية فلا مانع إذا كان في الأمر خيرٌ للطرفين والله أعلم

الآغا سليم: لعل الأمر فيه خير حقاً والآن إلامَ ترمي من هذا السؤال

صابر: أعطني الآمان

الآغا سليم: هو لك.. والآن تكلم

صابر: بصراحة ودون مقدمات لقد جاءني أحد عيوننا وقال لي أن الآغا تحسين سمع عن حسناء من قريتنا ويريدها زوجة.. على سنة الله ورسوله طبعا..

الآغا سليم: الأحمق المتعجرف.هل بلغت به الوقاحة هذا الحد من السخرية و الإهانة

المفتي: لا حول ولا قوة إلا بالله.. لطفك يا رب

الآغا سليم: ماذا سمعت أيضا مؤكد أن هناك أخبارا أخرى.. هل تعرف اسم الفتاة حتى نتصرف بحذر.. ونحميها فربما يحاول إيذائها أو خطفها مثلا

صابر: بالطبع يا آغا أعرفها جيدا.. الفتاة هي.. هند بنت الحج علي.. ((ينهض الرجل العجوز بانفعال ويصرخ. ينهض معه الشاب الشخصيات الأخرى تماثيل واقفه))

الرجل العجوز: لا..لا.. هند لا.. إنها فتاتي أنا أرجوكم لا توافقوا.. أنا.. أنا سأخطبها قريبا نعم سأخطبها.. أبوها وافق.. وهي تريدني أنا.. أرجوك يا آغا.. أقبل قدميك ((يركع على رجا الآغا سليم)) أرجوك.. هي أملي الوحيد.. هي كل شيء باقي لي في هذه الدنيا ((الشاب يرفع الرجل العجوز..))

الآغا سليم: هند بنت الحاج علي.. والله جميلة جميلة جدا.. الوغد كيف اصطادها من بحرنا..

صابر: ((وقد تلكأ في كلامه)) لا.. لا.. لا شيء محجوب عن الأنظار هذه الأيام..

الآغا سليم: هند بنت الحاج علي.. أليست مخطوبة للشاب توفيق..

الرجل العجوز: نعم إنها على اسمي مذ كنا صغارا.. فأرجوك لا توافق.. هو.. هو عدوك.. وسارق مياه قريتنا..

صابر: بقي أن أقول شيئا وهو الأهم والمدهش في هذا الموضوع..

الآغا سليم: ما هو.. تكلم..

صابر: المهر الذي سيدفعه الآغا تحسين لقاء موافقتنا على هذه الصفقة.. أ.. أقصد على هذه الخطوبة..

الآغا سليم: يحاول أن يشتري عرضنا بماله.. كنوز الدنيا لن تدفعني على التفريط بشرف القرية وعرضها.

صابر: حتى لو كان المهر.. هو البئر يا آغا..

الآغا سليم: حتى لو كان الـ ((مستدركا)) ماذا قلت.. ما هو المهر..

صابر: البئر.. سيوافق على مشاركتنا بنصف مياه البئر مقابل زواجه من هند..

الآغا سليم: هل أنت متأكد مما تقول

صابر: نعم.. متأكد.. وحتى سمعت أيضا بأنه سيبعث لك مفوضا عنه أيضا ليشرح لك كل شيء بالتفصيل

الآغا سليم: ((مفكرا قليلا)) ما رأيك بما سمعت يا شيخ..

المفتي: الأمر يدعو إلى الدهشة فعلا.فبعد كل هذه العداوة والمقاتلات بيننا حول البئر يكون حلا بعرس وفرح..

أنا أقول إن كان هذا الأمر صحيحا فهو خير لنا..له أيضا.. وعلينا أن نأخذ الأمر بجدية لأني أعتقد بأنه جاد جدا.. ولكن قبل كل شيء. يجب علينا مناقشة الأمر مع توفيق.. خطيب هند ومحاولة إرضائه وتعويضه. فهي خطيبته وسوف يضطر إلى هجرها من أجلنا.. والله ولي التوفيق ((العجوز يقترب من المفتي.. يقبل يده..))

الرجل العجوز: أنا غير موافق.. غير موافق..

الآغا سليم: إذا أريد توفيق حالا.. هل سمعت يا صابر ((يخرج مع المفتي))

صابر: سمعا وطاعة يا آغا.. سمعا وطاعة ((صابر وحده الآن)) مع السلامة.. يا.. يا توفيق

((يضحك بعمق)) والآن سنرى كيف ستتصرف أو فـ.. ستندم على كل شيء.. حتى أنت يا هند.. رفضت جاهي ومنصبي ورضيت بذلك الصعلوك الفقير.. كنت أراك تضيعين أمامي وأنا أتحسر وأكاد أموت قهرا.. وأنت تضحكين وتلهين مع ذلك الأبله ولكن على مين.. على صابر.. علي وعلى أعدائي.. يا هنائك ويا سعادتك بهذه النهاية السوداء لقصة حبكما الأبدي

الرجل العجوز: الرب كان كبير..شديد العقاب عالم بالبنيان.. (صابر يتمدد منتصف المسرح دون حراك أو نفس..يقترب منه العجوز)

الرجل العجوز: (يتابع) ماذا أخذت معك من هذه الدنيا الفانية يا صابر.. كم قذفت وهتكت وسرقت وكذبت.. كل هذا في سبيل المال والمنصب.. كل هذا حتى تشفي غليلك وحقدك.. آه على بني أدم.. لو أنه يعرف أنه من التراب وإليه لكان أمضى عمره صلاة وصياما وتعبدا

الشاب: ((نحو العجوز)) كيف مات..

الرجل العجوز: سقطت عليه خشبة كبيرة من سقف بيته قضت عليه فورا. كان هذا بعد عودة البئر ورحيلي إلى هنا..الله كبير وين سارح..

الشاب: هل كان يحقد عليك لهذه الدرجة..

الرجل العجوز: وأكثر

الشاب: والسبب..

الرجل العجوز: كان يحب هند وكثيرا ما حاول التحرش بها وعندما سمعت عن مضايقته لها.. جعلت منه سخرية أمام أهل القرية.. ضربته في الساحة أمام أعين الناس ومن يومها وهو يكن لي الحقد الشديد ويتوعدني بالانتقام ((يدخل توفيق المسرح ويجلس على كرسي. العجوز يمسك يد صابر ويرفعه يخرج صابر قليلا ثم يعود ومعه صحن فيه فواكه متنوعة ، يدخل العجوز والشاب الخيمة.. ما زالت الفتاة تخيط قطعة القماش..))

المشهد السادس

((توفيق يلتهم الفاكهة بنهم ويشرب الماء بين لحظة وأخرى. نلاحظ أن صابر يتابعه بنظرات فيها تقزز..))

توفيق: ((وهو يأكل)) أنت لم تقل لي بعد لماذا أتيت بي إلى هنا.. ولماذا كل هذا الكرم المفرط على غير العادة.. سامحني يا صاحبي إن كنت أقول الحقيقة..

صابر: كل شيء بأوانه يا توفيق.. لا تكن بصلتك محروقة.. تمتع الآن بهذه الفاكهة اللذيذة والباقي سيأتيك بعد لحظات..

توفيق: لكنك لم تقل لي

صابر: ((بتأفف)) الآن سيحضر الآغا سليم شخصيا ويتحدث إلى جانبك.. ومنه ستعرف كل شيء.. مقامك عال يا توفيق.. ومثلك لا يحدثه إلا الآغا وات..

توفيق: ((يغص بلقمته يشرب الماء وهو يضرب على صدره)) لماذا أشعر أن مؤامرة تحاك لي هنا..

فـلا أعتقـد أن الـسادة يكرمـون عبيـدهم لله.. دون مقابل.. اسمع يا صابر أنا فقير ولا أملك شيء سوى بيت حقير أو ي إليه ، وليس لي في السلطة ولا بأخبار السادة الكبار ، يعني باختصار أمشي الحيط الحيط وأقول يا رب الستره.. وليس بإمكانك لا أنت ولا سيدك أن يكون لكم مأخذ علي.. لذلك تعال ننهي هذا الأمر بيننا ودعني أمشي وشكرا لك على الفاكهة والكرم ((يضع تفاحة في جيبه))

صابر: ما رأيك بكأس تنفض به هذه المدفأة التي تحملها فوق عنقك

توفيق: والله لا مانع.. أنت كريم.. ونحن نستاهل.

صابر: ((وقد بدأ عليك الضجر)) صبرا جميل وبالله المستعان.. صبرا جميلا.. سوف أذهب وأستعجل الآغا سليم أتسمح لي يا سيد توفيق

توفيق: حسنا.. وريثما تأتي أكون قد قضيت على آخر تفاحة في هذا الصحن..

صابر: إن شاء الله ألف صحة ((يهم بالخروج. يفاجئه دخول الآغا سليم ومعه المفتي، صابر يرحب بالآغا

وتوفيق حين يراه يقف منتصبا مكانه وقدماه ترتجفان))

توفيق: أ.. أ.. أهلا يا آغا..

الآغا سليم: إذا أنت توفيق

توفيق: بلحمه وشحمه.. خادمك توفيق

الآغا سليم: اسمع يا توفيق نظرا للضيق الذي أنت فيه ، فقد أمرنا لك ببيت جديد.. ونظيف.. وقطعة أرض صغيرة تعيلك على الأيام.. وهذه هديتنا لك.((توفيق متخشبا مكانه ولا يستطيع النطق.. صابر يحركه))

صابر: ما بك يا توفيق.. ألا تشكر الآغا على عطائه لك

توفيق: ((يصحو فجأة)) شكرا.. شكرا.. شكرا.. نعم شكرا كثيرا.. والله كنت بحاجة إلى البيت لأتزوج به والأرض لكي أعمل بها.. وهذا كرم كبير منك يا سيدي الله يحفظك.. وينصرك على من يكرهك. ويكثر محبينك ويطول عمرك.ويكثر مالك ورزقك ويعطيك بدل القرش ألف، ألف.. ويكثر أو لادك وذريتك و.. و.. و.. ((فجأة بينما هو منهمر بالدعاء فجأة كالذي فطن إلى شيء))

توفيق: لماذا كل هذا.. لا أذكر أنك تعرفني حتى تجزل لي العطاء ولا أذكر أيضا أني قمت ببطولة أو عمل كبير لتكافئني عليه هذه المكافأة القيمة.. كنت أقول بأن في الأمر سرا.. والآن ألن تخبرني عن مهمتي الفدائية.. أكاد أتخيل مثلا أن أتسلل إلى منزل الآغا سليم وأقتله.

صابر: لا نريد منك أن تقتل أحدا. كل ما نريده هو أن تنقذ أهل القرية من الهلاك والجوع..

توفيق: ((يضحك بجنون ثم يتذكر وجود الآغا إلى جواره)) أنا أنقذ أهل القرية من الجوع.. كيف هذا وأنا أكثرهم جوعا وفقرا.. يا حسرة علي

صابر: اسمع.. سأشرح لك.. كل شيء.. أنت تعلم أن سبب شقاءنا الآن هو عدائنا مع الآغا تحسين.. فقد سرق من مياه البئر ويبس عندنا الزرع وانتشر الفقر والجوع. وبعد كل هذا العداء والحروب بيننا وافق على أن يعطينا نصف مياه البئر بشرط أن نزوجه جميلة من بناتنا

توفيق: يا عين.. يا عين. كنت دائما أقول أن الآغا تحسين نسونجي..المهمة بسيطة بالنسبة لي لا مانع عندي.. أنا موافق على الأمر.. هو يتزوج وينبسط ونحن نأكل الولائم..

صابر: ((ينظر بالآغا سليم والمفتي)) أنت لم تسأل من هذه الفتاة الجميلة

توفيق: ((يحدق بشيء من الخوف)).. من تكون

الآغا سليم: هند بنت الحاج علي.. خطيبتك يا توفيق ((مباشرة يخرج العجوز من الخيمة وهو يشرب من زجاجة خمر ، وقد ظهر أثر الشرب ، يخرج معه الشاب نلاحظ أن المشخصون على المسرح قد أصبحوا تماثيل منتصبة

الرجل العجوز: لم يجدوا في هذا الكون إلا هند.. حبيبتي إلا زهرة حياتي والبسمة الوحيدة التي ارتسمت على وجهي خلال عمري ((وهو يتجول بين التماثيل ويرميهم بنظرات حاقدة..))

الشاب: وأنت هل وافقت

الرجل العجوز: ((بحزن وضعف)) أنا.. ((مباشرة يعود المشخصون إلى تأدية أدوارهم وإكمال المشهد. بينما يقف الشاب موقف المراقب للمشهد في حين العجوز يقبع على الأرض منهارا ويأخذ بالشرب))

توفيق: هند.. الآغا تحسين.. البئر يعود.. وأنا.. وهي.. الجوع في كل مكان.. والزرع..

صابر: ماذا دهاك يا توفيق.. المعادلة بسيطة هند مقابل البئر.. ما هو جوابك.. لقد رأينا من الواجب فقط أن نأخذ رأيك بالموضوع.. والآن ماذا قلت..

توفيق: ((ببسمة وشيء من التذكر والشرود)) هند.. لا.. لن أوافق..

الآغا سليم: ماذا قلت أيها الصعلوك ((يصفعه على وجهه ، فيصحو توفيق من حلمه))

المفتي: طول بالك يا آغا..كل شيء سيكون كما يرام اذهب أنت واسترح ولا تشغل بالك بشيء وأترك الموضوع لي..

الآغا سليم: حسنا..ولكن اسمعوا جميعا..اليوم سأسمع الموافقة النهائية وإلا رميت بهذا الصعلوك في السجن حتى

يتعفن..لا أريد مشاكل يا صابر...تفهم.ونفذ ما تعرفه عني..((يخرج الآغا غاضبا))

صابر: حاضر..حاضر..يا آغا.

المفتي: ((إلى توفيق بشيء من الحنان))اسمع يا بني اللّه يأمرنا ببذل الغالي والرخيص في سبيل العامة والأهل..وأنت ستجد فتاة أخرى تحبها وتتزوجها سيما وأن الآغا قد أمر لك ببيت وأرض وأوامرك ستكون منفذة على الفور.

توفيق: ((وهو ينهض ويحاول أن يستجمع قواه)) اسمع يا مولانا..أنت رجل دين وعلم ولا أعتقد بأن مثل هذه المقايضة مشروعة أو حتى قانونية وبالفصيح أنني لن أبتعد عن هند مهما حدث وحتى ولو قطعتموني نتفا صغيرة والأهم من ذلك كله هند نفسها فهي صاحبة القرار وهي تحبني أنا ولن ترضى بالآغا تحسين ولا بغيره ومؤكد أنها لن توافق حتى لو وافقت أنا..

المفتي: استهدي بالرحمن يا رجل ولا تجلب لنفسك التهلكة وأرضى بما أعطاه لك الآغا وإن كنت تطمع بالمزيد فاخبرني وأنا كفيل أن يعطيك الآغا ما تطلب.

توفيق: ليكن بعلمك يا مولانا أن كنوز الدنيا ليست تغني رغم فقري وهند لا أبيعها وهذا هو جوابي الأخير..حتى لو فنيت القرية ومن فيها.لو طلبتم روحي أنا فهي أمامكم رخيصة أما عن هذه الصفقة ومن وراءها فلا..لا..وألف لا..

صابر: ((بغضب))أنت ترمي بنفسك إلى الموت ستندم على وقاحتك هذه. وأعدك بعذاب لم تعرفه حتى في حلمك..

المفتي: صلي على النبي يا صابر ليست هكذا تحل الأمور

صابر: بل هكذا..اسمع يا مولانا..لا يفيد مع هؤلاء الحمير إلا السوط فقط..خذوه وقيدوه وارموه في السجن حتى يتعفن جسده ويعقل قليلا ((يدخل اثنين من رجال الآغا ويجران توفيق بينما ينسحب صابر والمفتي وهو يحولق ويهلل. توفيق يبزق على صابر))

الرجل العجوز: وضعوني في زنزانة لا تطيقها خنازيرهم وكنت لا أسمع إلا ألوان الشتائم والإهانات هذا عدا جلسات التعذيب..إنهم أو غاد..مجرمين..كلاب..

الشاب: وهند ماذا حل بها بعد أن سجنوك.

الرجل العجوز: هي الوحيدة التي كنت ارغب أن أراها في سجني.. تخفف آلامي.. وتمدني بالأمل.. ومرة بينما أنا في سجني سمعت حركة خفيفة ((العجوز هنا يركب ديكور السجن وهو عبارة عن الجهة المعاكسة من الخلفية التي تحمل صورة البئر.يعلوها نافذة صغيرة يقبع توفيق خلف باب السجن هذا.. بينما تتسلل إليه هند بهدوء وخوف وتناديه بصوت ضعيف جدا.الإضاءة مركزة عليها فقط))

المشـهد السابع

هند: هيه.. توفيق.. أنا هند.. هيه توفيق هل تسمعني

توفيق: ((ينظر من النافذة)) هند.. صغيرتي.. ((يمسكان بأيدي بعضهما))

هند: اشتقت إليك.. أخبرني كيف حالك.

توفيق: كما ترين لقد أو سعوني ضربا وإهانة

هند: تفرج إن شاء الله يا توفيق.. فقط اصبر

توفيق: ما هي الأخبار في القرية

هند: بصراحة الأخبار لا تسر لقد وافق أبي على زواجي من الآغا تحسين بعدما أغروه بالمال والجاه وأنت تعرف الحال.. وفقر والدي وضعفه فلم يجد إلا أن يوافق.

توفيق: أو ف.. يا رأسي.. وأنت ما رأيك بالأمر

هند: أموت ولا أكون في فراش ذلك القذر ، إن مجرد التفكير بأن أكون زوجته يشعرني بالقرف

والرغبة بالتقيؤ اسمع سيأتي مبعوث عن الآغا تحسين عما قريب ليزفني إليه. وأنا طول الليل أفكر بخطة تنجينا مما نحن فيه

توفيق: ها..وإلى أين وصلت.

هند: نعم..اسمع أنت ستظهر لهم بأنك موافق وتتظاهر بالندم والأنانية..عندها سيخرجونك من السجن وفي ليلة العرس نهرب معا وأنا قد دبرت أمر الهروب وأنت لا تخشى شيئا...

توفيق: حسنا..سأفعل..من أجلنا..

هند: أتحبني إلى هذا الحد..

توفيق: ((يشير لها إلى وجهه المليء بالكدمات)) ألا ترين ((يغرق الاثنين بضحكة طويلة.. يجلسان متعاكسان يفصل بينهما باب السجن..لحظات صمت قصيرة)) دعينا نحلم..

هند: بماذا ؟

الرجل العجوز: بالأمل..بالسعادة..ببيت صغير يجمعنا

هند: بطفل يكون بلحة حبنا..نلاعبه..يلاعبنا..ويملأ علينا حياتنا.

الرجل العجوز: أمام البيت دجاجات بيض..وقطة..

هند: أمام البيت شجرة توت كبيرة..نعلق عليها أرجوحة .. نركبها ونغني.. ((الاثنان يغنيان مقطع من أغنية.))

توفيق: ما أجمل الأحلام.

هند: ما أجمل الأحلام..((لحظة شرود قصيرة.. تضطرب هند..يسمع صوت أقدام تقترب من الكواليس. وقعها على الأرض في السكون والظلام يبعث شيئا من الخوف))

هند: هناك أحد يقترب نحونا.

توفيق: حاولي أن تهربي بسرعة.. هيا لا تخافي..تحركي.

هند: حسنا ولكن لا تنسى ما اتفقنا عليه.

توفيق: نعم..نعم .. والآن تحركي بسرعة..هيا ((هند تختفي في الظلام.توفيق يتظاهر بالنوم.يدخل صابر وهو يحمل سوطا ويبدأ بلسع توفيق.))

صابر: والآن يا توفيق كيف تشعر..بعد هذا الكلام..

توفيق: بصراحة أن سياط جلادكم اخترقت لحمي وعظمي وأنا كما ترى ضعيف الجسد ولا أحتمل هذا العذاب يا سيد صابر المحترم.

صابر: أنت الذي أردت هذا..لو أنك كنت عاقلا.لما حدث لك كل هذا ونلت العطايا والمجد.

توفيق: بصراحة..أعترف بأني كنت مجنون.

صابر: ((بدهشة)) أتقصد أنك

توفيق: نعم..يا سيد صابر..كانت فوره غضب وطيش شباب أحمق.

صابر: لا أصدق ما أسمع.

توفيق: بل صدق.. أعترف بأني أخطأت تجاه الآغا سليم وبحقك أنت وحق أهل القرية جميعهم.. فأنا لم أكن أحب هند.. فهي مجرد فتاة. والفتيات كثيرات وأستطيع أن أحب ثانية وثالثة وعاشرة.. وأتزوج ممن أريدها مادمت في حضرة الآغا سليم وكرمه.

صابر: مدهش.. فعلا للسوط قوة مثيرة عندنا للإقناع.. ونفض الرأس..جيدا ، سأبشر الآغا سليم بما كان..

توفيق: انتظر..انتظر قليلا..يا صابر وأفهمني

صابر: وماذا هناك

توفيق: بشأن العطاء الذي وعدني به الآغا..فأنا

صابر: مفهوم.. مفهوم..سيكون لك كل ما وعدت به وزيادة..يا سلام..الآن سوف تحل كل مشاكل القرية وتصفى النفوس.. فأنت تعلم يا توفيق بأننا كنا سنتم هذا الموضوع دون موافقتك سيما وإن والد هند وافق على الموضوع ،ولكن موافقتك كانت مهمة ومطلوبة حتى لا تحدث في القرية بلبلة وفوضى نحن بغنى عنها في هذه الظروف الصعبة التي نمر بها.. فالهدوء سلطان.. ولن يجد فريق العشاق إلا الشغب والفوضى تضامنا معك والآن لنزف البشارة إلى الآغا..((يهم بالخروج لكنه يقف مفكرا)) بقي هناك أمرا يا توفيق.

توفيق: ما هو يا سيد صابر

صابر: هند نفسها..ماذا لو ركبت رأسها ورفضت ما حصل منك الآن.

توفيق: هذه بسيطة.. أنا سوف أخبرها بل وأقنعها بأننا لم نعد لبعضنا والأفضل لنا أن نبتعد ،وبهذا لن تجد إلا الموافقة والطاعة ((ينسحب توفيق))

صابر: جميل..جميل..هذه ثمنها غالي يا توفيق ((يخرج))

الشاب: واستطعت أن تقنع صابر بهذه اللعبة. وبعدها

الرجل العجوز: بعدها..ليته لم يكن هناك بعدها..

الشاب: ما الأمر..أرى فاجعة تطل من عينيك.

الرجل العجوز: صابر كان داهية..ولاعب شاطر وهذا طبيعي تربى في بيوت السادة ((مباشرة يدخل الآغا سليم وصابر الآغا يبدو عليه التفكر..بينما صابر يرمقه بنظرات واثقة))

صابر: ماذا قلت يا آغا

الآغا سليم: دعني أقلب الأمور جيدا.

صابر: الأمر لا يحتاج إلى تقليب..والحل هو كما قلت لك

الآغا سليم: كلامك منطقي فعلا.. لم لا يكون توفيق يدبر أمرا وراء موافقته السريعة أو تبدل موقفه ثم أن هند تبدو هي الأخرى واثقة تماما من نفسها. ولا يظهر عليها الخوف.أكاد أجزم الآن أن هناك مدبر يحاك بينهما.. ولكن كيف وهو مرمي عندنا في السجن منذ فترة..

صابر: الأفضل أن نقطع الشك باليقين..وأن ننفذ الخطة. فإذا كان مدبر في الأمر نكون قد قطعنا الطريق عليهما.

الآغا سليم: وإن لم يكن.

صابر: لا نخسر شيئا طبعا..

الآغا سليم: إذا أرسل إلى الأغا تحسين وأخبره بأننا قربنا موعد الزفاف لظروف خاصة بنا وعليه أن يرسل مبعوثه قبل الموعد المتفق عليه.

صابر: حسنا.. وتوفيق

الآغا سليم: وما به أيضا..

صابر: سيبقى في سجنه حتى يوم الموعد الأول.. ما رأيك يا سيدي

الآغا سليم: هذا هو الكلام..إذا نفذ ما عزمنا عليه وبسرعة..

صابر: أسرع من الريح يا أغا..أسرع من الريح..((يخرجان))

الرجل العجوز: لعنك الله عليك وعلى قبرك يا صابر ((يبزق وراءه ثم يدخل مع الشاب إلى الخيمة))

المشـهد الثامن

((المهرج يدخل بوثبات طويلة إلى منتصف المسرح ويبدأ بدوران رأسه بحركة مع عقارب الساعة هذه المرة))

المهرج: الزمن..الزمن.. يركض إلينا الزمن..مرحبا مرحبا.. الزمن.. الزمن..يحمل في أيامه حفل بهيج وتلاوات مباركه..اليوم فرح.. اليوم عيد وزفاف سعيد زفاف الأغا تحسين على هند الحسناء..الزمن..الزمن..أين أنت يا توفيق..توفيق..((كالذي ينادي على رجل بعيد يخرج مسرعا من المسرح))

((مباشرة تدخل فرقة المالاوية وهي تنشد.. اللّه.. اللّه .. اللّه .. يدخل بعدها رجال الأغا سليم. صابر. المفتي. هند. مبعوث الأغا تحسين.عدنان. والد هند.. بعد فترة من الابتهالات والإنشاد..يتقدم المفتي الحضور))

المفتي: وأخيرا..وبحمد اللّه عم السلام والأمان بعد العداوة والحقد صار بيننا نسب ودم.

الآغا سليم: بالنسبة لنا فعلنا كل ما هو مطلوب منا يا سيد عدنان وبقي تنفيذ ما وعد به الأغا تحسين.

عدنان: الأغا تحسين يهديك السلام الحار.ولولا الظروف لجاءك بنفسه وهو بزيارة عما قريب حتى تتأكد أن النفوس صافية من قبلنا وبالنسبة لحصتكم من مياه البئر.فيمكن أن تعتبرها من هذه اللحظة ملك للقرية وفلاحيها ونحن للاطمئنان أوصينا رجالنا لتنفيذ هذا الاتفاق.

المفتي: بارك اللّه فيك وبالأغا تحسين.

صابر: وعلينا نحن أن نزف عروسنا للأغا تحسين حتى باب بيته..

عدنان: بارك اللّه بالسلام.. بالفرح..

الجميع: بارك اللّه..بالسلام ((نلاحظ أن هند تبدو يائسة تغطي وجهها بقطعة قماش ويمسك بيدها والدها ينتصب الجميع تماثيل على خشبة المسرح. يقترب العجوز من هند يحمل باقة ورد))

الرجل العجوز: بارك اللّه بالسلام..سلام يفتك بقلوب الناس.. يدمي الجوارح وترمي العيون حبات الندى لأجله..وتهرب

العصفورة الدامية إلى البعيد دماءنا تكتب على صفحة الأرض..بارك اللّه بالسلام.

((يقدم الباقة إلى هند.. نلاحظ الشاب على زاوية المسرح يحاول أن يمسح دموعه.. مباشرة تعود الابتهالات الدينية ويصبح الجو بشكل حفل زفاف الجميع يخرجون من المسرح بالأناشيد بينما يبقى الرحل العجوز مع الشباب وسط المسرح وهو يتمايل ويردد..اللّه..اللّه..اللّه))

((تتلاشى الإضاءة تدريجياً))

الفصل الثاني

المشـهد التاسع

((مازالـت الفتـاة المـشوهة منهمكـة في خياطـة قطعـة القمـاش الكبيرة وقد ظهر عليها الإعياء والتعب...

وما زلنا نـرى ضوء مصباح الزيت ينبعث مـن بـاب الخيمـة ، الرجـل العجوز يبدو عليه الاكتئاب يلف سيجارة ويبدأ

بـنفخ الـدخان بزفـرات حـادة وجارحـة.. الـشاب لا ينقطـع محـدقا بالرجل العجوز))

الشاب: إلى متى سيبقى هذا الصمت الباكي.. بيننا.

((الرجل العجـوز لا يكـترث للـشاب ويـستمر بـنفخ الدخان))

الشاب: ألا تـرى أن الـصمت الثقيـل هـذا الـذي تعيـشه الآن يؤلم أكثر لو أنك تكلمت.

الرجل العجوز: ((دون أن ينظر)) ماذا تريد أن تسمع بعدما كان.

الشاب: أريد أن أسمع صوت قلبك الساكن في صدرك..

الرجل العجوز: قلبي طعنوه.. طعنوه.

الشاب: أريد أن أسمع صوت هند يخرج من ثغرك.

الرجل العجوز: هند.. ((بهدوء وهو ينظر إلى اللاشيء)) انتحرت..

((ينفث دخانه بزفرة حادة طويلة.. مباشرة يدخل توفيق بحالة من الضياع والجنون ، ينظر إلى خشبة المسرح كالذي يبحث عن شيء ، العجوز يضع رأسه بين يديه ـ بينما يراقب الشاب توفيق بحزن))

توفيق: عيوني يا هند.. أين أنت يا عمري ((يجلس وسط المسرح ويبدأ بحركات كالذي ينبش التراب)) كلميني أعرف أنك تسمعيني الآن.. لا تلوميني.. أعرف بأني جبان وأنك كنت أشجع مني وفضلت الانتحار على حضن ذلك القذر تحسين.. هند قولي لي شيئا.. قولي أني لم أكن السبب بموتك.. أرجوك تحدثي.. هند أرجوك.. أرجوك يا غالية.. أرجوك..

((ببكائية.. يرتمي على قبرها ، يدخل فلاح من العامة ينظر ‘إلى توفيق بحزن))

فلاح: لا حول ولا قوة إلا بالله الله على الزمن يا توفيق ((ينسحب الرجل من الجانب الآخر.. يتقدم العجوز نحو توفيق يرفعه ويواسيه ويقوده ٬إلى كواليس المسرح))

الشاب: ((من مكانه)) كانت تحلم.

الرجل العجوز: بالأمل.. بالسعادة.. ببيت صغير يجمعنا معا

الشاب: بطفل جميل نلاعبه.. ويملأ علينا حياتنا

الرجل العجوز: أمام البيت دجاجات.. وقطة.

الشاب: أمام البيت شجرة توت كبيرة.. نعلق عليها أرجوحة.. نركبها و نغني..

الرجل العجوز: ما أجمل الأحلام

الشاب: ما أجمل الأحلام..((يدخل الآغا سليم وصابر وهما يلبسان ثياب رسمية.. ربطة عنق.. تبدو أشكالهم مضحكة بعض الشيء))

الآغا سليم: ما حال القرية هذه الأيام يا صابر

صابر: بأحسن حال.. والكل يدعي بسلامتك يا أغا..

الآغا سليم: نعم.. نعم.. وهل الماء وفير ((يهذب ربطة العنق))

صابر: الفلاحون يسقون أراضيهم وفق برنامج موضوع وهذه المساحات الخضراء التي تراها حولك.. أكبر دليل على الخير الذي نحن فيه الآن..

الآغا سليم: نعم.. نعم..

صابر: هل نتابع الجولة يا أغا..

الآغا سليم: أخبرني ألا ما حال ذلك الشاب.. ماذا كان اسمه

صابر: توفيق.. توفيق يا أغا.

الآغا سليم: نعم توفيق.. هل أجزلت له العطاء الذي وعدناه به

صابر: ((مرتبكا)) أي.. والله نعم.. نعم يا أغا لقد أكرمناه وزيادة وهو يدعو لك بطول العمر والصحة

الآغا سليم: نعم.. نعم.. مسكين توفيق.. ماتت هند بعد زواجها بفترة. دون أن يراها أو حتى يمشي في جنازتها

صابر: الحمد لله الذي مر موت هند على خير يا أغا.. فعلا الأغا تحسين كان كريما وحافظ على المعاهدة التي بيننا..

الآغا سليم: وما علاقتنا نحن بالأمر.. لا أعتقد بأننا نقف وراء انتحارها يا صابر.. هي انتحرت عنده ألا يمكن

أنهـا فعلـت هـكـذا لأنـه جلـف معهـا ولا يحـسـن معاشرتها..

صابر: ((يكون شاردا ثم يصحو)) ها.. نعم.. نعم ((مقلدا الأغا)) أيمكن متابعة الجولة يا أغا

الآغا سليم: ((وهما ينسحبان من المسرح)) نعم.. نعم..

الشاب: مؤكد أنهم لم يعطوك شيئا

الرجل العجوز: طبعا لا..

الشاب: وماذا فعلت..

الرجل العجوز: لم يكن أمامي إلا المفتي تاج الدين .. ((العجوز يفرش سجادة صلاة على الأرض، يدخل المفتي وحيدا ويبدأ بتلاوة آيات من القرآن.. بعد لحظة يدخل توفيق))

المشـهد العاشر

توفيق: كيف حال مولانا.

المفتي: ((بعد لحظة من التلاوة)) صدق الله العظيم فلتكن تحيتك يا توفيق..السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

توفيق: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا مولانا.

المفتي: هكذا خير وحسنه لك.. والآن ما وراءك يا بني.

توفيق: تعرف قصتي كاملة يا شيخ.. أخذوا خطيبتي ووعدوني بقطعة أرض وبيت أعيش فيه.. وأنت تعرف الحال..والحارة ضيقة ونعرف بعضنا.. واليوم وبعد موت هند وعودة الحياة إلى القرية.. تنكروا لكل ما فعلت.. ولم أحصل على شيء.

المفتي: يا بني أو لا صلي على الحبيب محمد.

توفيق: اللهم صلي عليك يا نبي الله يا محمد.

المفتي: ثانيا أنا رجل دين وفقه لي في الفتوة وبيان الحق ونبذ الظلم والحكم بكلام الله وسنة رسوله.

توفيق: أفهم من كلامك.

المفتي: ((مقاطعا)) موضوعك عند الآغا سليم.

توفيق: ولكن يا شيخ.

المفتي: لا حول ولا قوة إلا بالله ((يعود إلى القراءة ، توفيق ينسحب.. يقترب العجوز من المفتي يطوي سجادة الصلاة ويقوده إلى خارج المسرح وينزع ذقنه المستعار لضرورة الشخصية)).

الرجل العجوز: صدق الله العظيم ((العجوز مع الشاب يقومان بتركيب ديكور مكتب ، العجوز يضع على المسرح طاولة عليها بعض الدفاتر والأوراق وهاتف قديم.. أما الشاب يضع الكرسي وزهرية ورد.. يدخل صابر بطريقة تمثيلية ويجلس على الكرسي، ويقوم الشاب بتهذيب شكله وأناقته وتسريح شعره ، بينما نرى العجوز على طرف المسرح وقد بدأ بإعطاء توفيق شكل شخصية متعثرة يبدو واضحا عليها الفقر والعوز.. بعد الانتهاء من إعداد الشخصيتين)).

((يدخل توفيق وقد بدا عليه التعب والإعياء، توفيق نحو صابر يركع أمام قدميه)).

المشـهد الحادي عشر

توفيق: أرجوك يا سيد صابر.. أريد التحدث مع الأغا الأمـر ضروري ولا يحتمل التأخير..

صابر: ((لا يعطي شأنا لتوفيق)).

توفيق: ما بك يا رجل.. أرجوك تكلم أين الأغا.. أمي تموت وتحتـاج إلى عمليـة بـسرعة ، وأنـا بحاجـة إلى المـال وإلا.. لا.. أبوس إيدك ساعدني.

صابر: ومـا علاقـتي أنـا بأمـك.. ومـرض أمـك.. أنـا لا أملـك مـشفى خـصوصي لأعـالجهـا.. كمـا أن الآغـا غـير فاضي هذه الأيام فهو يحضر لطهور ابنه من زوجتـه الرابعة.. عقبالك.

توفيق: أقـول لـك أمـي تمـوت.. وتقـول لـي طهـور.. وزوجـة رابعـة.. أرجـوك لا.. هـذه أمـي.. ولـيس لـي في الـدنيا سواهـا أرجوك يـا صـابر حـاول أن تتـصل بمستـشفى المدينـة واطلـب مـنهم أن يـستقبلوا أمـي ويجـروا لهـا

العملية.. مؤكد أنك لك معارف هناك.. فما شاء الله اسمك واصل إلى كل مكان..

صابر: نعم.. نعم.. صحيح أن اسمي واصل إلى كل مكان ولكن بصراحة لا أستطيع المساعدة.. سامحني يا صاحبي والآن دعني فلدي عمل كثير.. وأوراق يجب تنسيقها وقراءتها اذهب الآن لا تعطلني أكثر..

توفيق: ما بك يا صابر.. نسيت.. أنا توفيق.. توفيق الذي

صابر: ((مقاطعا)) طز. ((توفيق يهجم على صابر ويمسكه من رقبته)).

صابر: ماذا تفعل يا مجنون.. دعني..

توفيق: لم يعد لي شيء أخسره يا صابر.. هند قتلتموها.. وأمي تموت أمامي وأنا لا أملك شيء في الدنيا وعلي وعلى أعدائي.

صابر: ((يحاول أن يخلص نفسه)) دعني يا مجنون.. دعني..((فجأة يدخل الآغا سليم ويضرب توفيق بقضيب يحمله)).

الآغا سليم: لعنة الله عليك يا ابن العاهرة..

صابر: رأيـت يـا أغـا كـاد يقـتلني ونحـن مـن أكرمـه وأعطاه..

((الشاب والعجوز يساعدان توفيق على النهوض))

الرجل العجوز: أمي ليست عاهرة يا أغا..

توفيق: أمي ليست عاهرة يا أغا..

الرجل العجوز: أمي حملتني في بطنها تسعة شهور

توفيق: وسمعت أنها حـين ولـدتني تعذبت كثيرا.. وكـادت تموت لولا رحمة اللّه.

الرجل العجوز: وحرمت نفسها لقمة العيش حتى تطعمني وأكبر.

توفيق: كانت تغطيني بثوبها إذا شعرت بالبرد.

الرجل العجوز: كانت تسهر على مرضي.. وتبكـي.. وتبكـي حتـى أصبحت شابا .

توفيق: واليوم تموت وأنا عاجز على فعل شيء لها.

الرجل العجوز: أمي ليست عاهرة.. يا أغا..

توفيق: أمي ليست عاهرة.. يا أغـا((صـوت رجل ينـادي مـن الكـواليس.. يـا نـاس.. يـا هـو.. الحجـة أم توفيـق ماتـت.. الحجـة أم توفيـق ماتـت.. يـا نـاس.. يـا هـو

يتباعد الصوت ثم يتلاشى ، العجوز يضع قطعة قماش سوداء حول عنق توفيق إيذانا بالحداد.. بينما ينسحب الأغا سليم وصابر من المسرح ويحملان ديكور المشهد..

توفيق: الحجة أم توفيق ماتت يا أغا.

الرجل العجوز: الحجة ماتت.. ما في داعي للعملية يا صابر.

توفيق: وسط المسرح في حالة غياب تام.. صوت قرآن يسمع من الكواليس)).

الرجل العجوز: الحجة ماتت يا ناس.. يا هو.. كانت تحلم أن ترى لها حفيد مني.. ومن هند.. الحجة بعمر الزمن بعمر ماء البئر.. في نفس السنة التي حفر بها البئر ولدت الحجة.. أمي.. أمي ماتت ((ينفعل)) قتلوها أو لاد الكلبة.. سرقوا مني حياتي مرتين.. مرة مع هند.. ومرة مع أمي.. أمي.. أمي يا ناس.. أمي يا ناس يكفي.. يكفي بكاء كالأطفال.. يكفي نواح كالنساء.. يكفي.. يكفي.. سأحرق القرية.. لا.. سأحرق بيت الآغا وكل كلابه.. بما فيها من نساء وأطفال.. سأحرق أرضهم.. وزرعهم.. أقسم

بأمي.. وروح أمي.. ((صوت منادي من الكواليس، بيت الأغا يحترق.. يا أهل النخوة.. يا أهل القرية. بيت الأغا يحترق. الرجل العجوز يضحك بجنون.. أشخاص يحملون الماء يدخلون ويخرجون من المسرح يمثلون عملية إطفاء الحريق ويمكننا هنا أن نستخدم خيال الظل تستمر الفوضى على المسرح، نلاحظ أن صابر يحث الأهالي على العمل لإطفاء الحريق، يستمر الرجل العجوز بانفعاله وصيحاته، بينما يبقى توفيق على حاله على المسرح، بعد فترة يقف صابر وسط جماعة من الأهالي ويخطب بهم)).

صابر: يا أهالي قريتي، لقد رأيتم ما فعله توفيق، هذا الخارج على القانون والأعراف، بعد أن أكرمناه وقربناه منا.. جازانا بإحراق بيت الذي أكرمه وأعطاه.. والآن ماذا ترون.. اقترحوا علي يا أهل قريتي

أصوات: اقتلوا توفيق.. اقتلوه.. إعدام.. شنق.. موت.

صابر: على مهلكم يا ناس.. لدي اقتراح آخر.. إذا أردتم أخبركم به

أصوات: تكلم.. قل..

صابر: النفي.. نطرده من القرية.. ما رأيكم..

أصوات: النفي.. النفي.. ((تتعالى الأصوات، بينما يكون الرجل العجوز قد أخرج صرة ثياب من الخيمة وتقدم نحو صابر وسط الناس.. صمت..))

الرجل العجوز: وفر عليك يا صابر.. هذه القرية لم تعد قريتي وأنا عزمت على الرحيل طواعية ((يرفع يد صابر نحو الأعلى بشكل إشارة النصر)) فليكتب التاريخ.. تاريخنا عن هذا النصر العظيم ((يتجه نحو توفيق ويعطيه صرة الثياب، توفيق يأخذ الصرة ويغادر المسرح، يتوقف عند نهاية المسرح وينظر نظرة وداع إلى أهل القرية.. الحوار مسجل))

صوت توفيق: في هذه القرية ولدت.. وعشت طفولتي ببراءة ومرح.. لعبت في حاراتها مع الأولاد.. وتشاجرنا مع بعضنا وكان من المفروض أن أموت فيها.. إلى جانب أمي.. وهند في هذه القرية ذكرياتي.. وأيامي.. بين أشجارها ركضنا وبكينا.. هنا تعرفت على هند.. هند.. وهنا زرعنا بذرة الحب الأولى بيننا.. كان من المفروض أن تنمو وتصبح شجرة قوية.. وتثمر.. في

هذه القرية.. الناس بسطاء.. أنا أعذرهم فهم جهلاء لا يدرون ماذا يجري في الخفاء.. أحرقت بيت الآغا حتى أعري الحقيقة وأحرق الزيف المنسوج علينا والذي فرض علينا وداعا والآن يا بيتي.. يا قبر أمي.. وهند.. وداعا الآن.. سأبني خيمتي على تربة خضراء.. تحيط بها أشجار كبيرة أعطت ثمارها بعد مولدها.. تحيط بها ورود حمراء وبيضاء.. ((الرجل العجوز يمثل لنل إيمائيا كيفية بناء الخيمة التي يسكنها، وفي نفس الوقت تماما يتضح لنا أن الفتاة المشوهة كانت تخيط ثوبا للخيمة الجديدة وأصبح واضحا جدا هيكل الخيمة، ونجدها تشد الحبال وتهذب مكان الخيمة))

توفيق: ((متابعا)) سامحوني يا أهل قريتي إن أخطأت أتمنى لكم مستقبلا أفضل.. تحبونه.. ويحبه أولادكم من بعدكم مستقبلاً ليس كالذي كنا نعيش.. وداعا.. رسالتي لكم.. توفيق. ((يخرج توفيق من المسرح يحمل صرة الثياب ، بينما يخرج من الجانب الآخر.. صابر وبقية الأهالي..))

الرجل العجوز: مشيت كثيرا.. تعبت.. وأخيرا وصلت إلى هذه الغابة الخالية.. بنيت خيمتي.. هنا.. صنعت نفسي هنا.. عشت أيامي كما أريد أنا.. ومع الزمن صارت حيوانات هذه الغابة وأشجارها وأحجارها أصدقاء لي أحاكيهم.. ونتسلى معا.. وصارت بلابل الأشجار تزورني كل يوم.. تغني لي.. أغنية الحب الحزينة.. وكنت أستمتع ((يدخل توفيق هذه المرة من يسار المسرح.. يتفحص المكان جيدا.. يدخل الخيمة ويضع صرة الثياب ويبدأ بترتيب المكان حول الخيمة..))

يتابع العجوز: وها أنا أمامك.. كما ترى.. كبرت كثيرا.. تغير لون شعري وشحب وجهي وحفرت الأيام فيه أخاديدا عميقة ورغم كل شيء يا بني.. وقسوة الأيام وبردها وحرها.. والخوف رغم كل هذا فأنا أعيش في خيمتي بسعادة أحسد عليها وهذا هو المهم في قصتي.. السعادة.. تسمع يا بني.. السعادة وحدها

الشاب: لا أستطيع أن أتكلم الآن.. أحاول أن أقول لك شيئا لكني لا أستطيع..

الرجل العجوز: قل ما تريد.. وأيا تريد فأنا أسمع..

الشاب: إذا هذه قصتك يا أيها الرجل الطيب..

الرجل العجوز: نعم.. كاملة.. ودون زيادة أو نقصان.. وأعتقد بأن الأيام والسنين لم تنسني إياها..

الشاب: أتنوي حقا أن تبقى في هذا المكان.. أقصد لا تفكر بالعودة إلى القرية..

الرجل العجوز: ماذا دهاك بابني.. بعد كل هذا الذي سمعت تسألني هذا السؤال..

الشاب: عفوا.. فقط للاطمئنان

الرجل العجوز: اطمئنان.. على ماذا..

الشاب: لا أعرف.. أعتذر إن كنت قد نبشت لك ماضيك الحزين وفتحت لك جروحك العميقة..

الرجل العجوز: لا تتأسف.. أعتقد أني في سريرتي كنت بحاجة إلى شخص أتكلم معه

الشاب: هذا أفضل.. أرحتني.. ((يستعد لمغادرة المسرح يمشي ببطء وشيء من التردد))

الرجل العجوز: ((من مكانه وهو يحدق بالشاب)) انتظر

الشاب: ((دون أن يلتفت)) ماذا

الرجل العجوز: لم نتفق على هذا.. كان اتفاقنا.. إن كنت قد نسيت.. أن أعرف من تكون ولماذا أتيت إلى خلوتي وخيمتي.. ووعدت أن تخبرني بعد سماع قصتي.. والآن انتهت حكايتي كاملة.. وجاء دورك..

الشاب: لا أعتقد بأنك بحاجة لسماع حكايتي..

الرجل العجوز: ولكنه اتفاق.. ووعد.. أم أنك

الشاب: ((مقاطعا)) لا.. لا أيها الرجل الطيب.. لست خائنا.. ((يخرج من المسرح قبل خطوة من الكواليس ، يقف دون أن يلتفت إلى العجوز)) وداعا

الرجل العجوز: انتظر ((يكون الشاب قد خرج من المسرح ، مازال العجوز يتبعه بنظراته.. لحظة صمت.. يضحك الرجل العجوز ضحكة طويلة ويدخل الخيمة..))

صوت الرجل العجوز داخل الخيمة:

آسف يا صاحبي كانت استراحة قصيرة.. هو شاب جاء لزيارتي ورحل.. وها قد عدت إليك.. أين كنا..

((يغرق بالضحك والبكاء))

- ((نلاحظ أن خيمة الفتاة المشوهة قد انتهت تماما نراها تعلق مصباح زيت في مقدمة الخيمة.. أصبح هناك على المسرح خيمتان ، تتعدم الإضاءة تماما على المسرح فقط يظهر ضوء مصباح الزيت من خيمة الرجل العجوز.. ويسمع فقط صوت ضحكته.. بعد لحظة قصيرة ينطفئ مصباح العجوز ومباشرة يضاء مصباح خيمة الفتاة المشوهة.. الآن ضوء مصباح الفتاة هو الإضاءة الوحيدة على المسرح.. صوت الفتاة المشوهة من داخل الخيمة))

صوت الفتاة: أين وضعتك يا صديقتي.. ها لقد وجدتك تذكرين.. كنا نقضي بالقرب من بعضنا أو قاتا كثيرة.. وأحيانا نصف النهار.. كانت أمي تصرخ لي.. لأني لم أكن أساعدها في عمل البيت.. تذكرين.. ((تضحك بعمق.. وبعدها تبكي))

المشـهد الثاني عشر

((يدخل المهرج إلى المسرح بوثبات طويلة.. الإضاءة عامة..

المهرج: ((وهو يؤدي حركة الرأس ورقاص الساعة))

الزمن.. الزمن.. يركض إلينا الزمن..

شـكرا لكـم يـا سـادة.. هـذه قـصتنا يـا سـادة.. أرجـو أن تكون فيهـا إفـادة.. وأرجـو أن تكـونـوا قـد اسـتمتعتم بهـا أو لا..

صفقوا لهم كثيرا.. وسامحوهم إن أخطئوا في التمثيل فهم هواة وليسوا محترفين..

أما أنا روكي الصغير.. أشكركم.. كثيرا.. كثيرا.. وإلى اللقاء..

((يخرج من المسرح بوثبات عالية))

ستار

تمت بعون الله